سعيد عقل

شعرُه والنثر

المجلّد السادس

كما الأعمدة
الوثيقة التباعية

نوبلِس

سعيد عقل
شعرُه والنثر

المجلّد السادس

كما الأعمدة
الوثيقة التباديّة

نوبِليسُ

للمؤلف

بنت يفتاح الطبعة الأولى ١٩٣٥ ــ الطبعة الثانية ١٩٩١
(مصححة)

المجدلية الطبعة الأولى ١٩٣٧ ــ الطبعة الثالثة ١٩٩١

قدموس الطبعة الأولى ١٩٤٤ ــ الطبعة الرابعة ١٩٩١

رندلى الطبعة الأولى ١٩٥٠ ــ الطبعة الخامسة ١٩٩١

غد النخبة الطبعة الأولى ١٩٥٤ ــ الطبعة الثانية ١٩٩١
(مصححة)

أجمل منك لا الطبعة الأولى ١٩٦٠ ــ الطبعة الثانية ١٩٩١
(مصححة ومزيد عليها)

لبنان ان حكى الطبعة الأولى ١٩٦٠ ــ الطبعة السادسة ١٩٩١

كأس لخمر الطبعة الأولى ١٩٦١ ــ الطبعة الثانية ١٩٩١

اجراس الياسمين الطبعة الأولى ١٩٧١ ــ الطبعة الثانية ١٩٩١

كتاب الورد الطبعة الأولى ١٩٧٢ ــ الطبعة الثانية ١٩٩١

قصائد من دفترها الطبعة الأولى ١٩٧٣ ــ الطبعة الثانية ١٩٩١

دلزى الطبعة الأولى ١٩٧٣ ــ الطبعة الثانية ١٩٩١

كما الأعمدة الطبعة الأولى ١٩٧٤ ــ الطبعة الثانية ١٩٩١
(مزيد عليها)

الوثيقة التبادعية الطبعة الأولى ١٩٧٦ ــ الطبعة الثانية ١٩٩١

خماسيات الصبا الطبعة الأولى ١٩٩١

المجلّد السادس

كما الأعمدة الوثيقة التباعديّة

كما الأعمدة

الطبعـة الاولى ١٩٧٤

الطبعـة الثانيـة ١٩٩١

لي صَخرةٌ

مِن أَين، يا ذا الذي آستسمَتْه أَغصانُ،
من أَيـن أَنتَ، فَداكَ السَّرْوُ والبـــانُ؟

إِن كنتَ من غيرِ أَهلي لا تَمُرَّ بنا،
أَوْ لا فما ضاقَ بابنِ الجارِ جِيرانُ!

---

* « لي صخرة »، « سائليني »، « غنيت مكة »، « نسمت »، « شام يا ذا سيف »، « مُرَّ بي » كلها قصائد تُغنّي بها فيروز.

ومن أَنا ؟ لا تَسَلْ. سمراءُ مَنْبِتُها
في ملتقى ما التقت شَمْسٌ وشُطآنُ.

لي صخرةٌ عُلِّقَتْ بالنَّجم أَسكُنُها
طارَتْ بها الكُتْبُ قالَتْ: تلكَ لُبنان !

تَوَزَّعَتْها هُمومُ المَجدِ فَهْيَ هوىً،
وَكْرُ العُقابين تَربى فيه عِقبانُ.

أَهلي، ويَغلون، يَغدو الموتُ لعبتَهم
إذا تَطلَّع صوبَ السَّفْح عُدوانُ،

من حَفنةٍ وشذا أَرزٍ كِفايتُهم،
زنودُهم إنْ تَقِلَّ الأَرْضُ أَوطانُ.

هل جنَّةُ الله إلا حيثُما هَنِئَت
عيناكَ ؟ كُلُّ اتِّساعٍ بعدُ بُهتان.

هُنا على شاطئٍ أو فوقُ عند رُبىً
تفتَّح الفِكْرُ قلتَ: الفكرُ نَيسانُ !

دنيا الى نُقطةٍ شُدَّت وما هَرَقَتْ
دَماً، أَلَا إنَّ خُلْقَ الحُرِّ سُلطان !

*

كنّا ونَبْقى لأنّا المُؤمنون بهِ
وبعدُ، فَلْيَسَعِ الأَبطالَ مَيْدان !

على شاطئ الذات

بعيداً، على شاطئ الذات،
في غَمْضَةِ الأشهُبِ،

حوالى مَطَلِّ الوُجود،
في العَبَق الطَّيِّب،

هنالك، والآنُ بين
المُمَهَّل والمُسْهَب،

شددْتُ يَدَ السِّرِّ وَهْوَ
على المَهد بعدُ غبي.

❊

أنا ابنُ الدهور، ابنُ لبنانَ،
وعيُ الخليقةِ بي،

أنا جُبْتُ ذاتي وأَفرغتُ
أُغنِيَّةَ المَطلَبِ،

نَهِلْتُ الذُّهولَ، نهلتُ
شحوبَ الفتى المُتعَبِ،

وصمتَ المساءِ يَلُفُّ
اليتيمَ وقَبْرَ الأَبِ،

نَهَلتُ الشَّقاءَ المُهِلَّ
جميلاً كوجهِ نَبي.

أنا ثَرْوَةٌ كالكآبة
عُمقاً وكالغَيْهَبِ،

غنيٌّ أُحِسُّ الوُجودَ
غُباراً على ملعبي.

يقولون: قافلةٌ،
هنالِكَ، لَمْ تُغْلَبِ،

تَشيدُ على الفَتْحِ أَثبَتَ
من مَجدِكَ الخُلَّبِ،

لها صفحةُ الأَرْض مرمىً،
وناصيةُ الكوكب.

قُلِ :الفتحُ غمسُكَ في الذات
كَفًّا من الصُّلَّبِ،

ورشفُكَ نفسَكَ رشْفَ
العتيقِ من المَشْرَبِ،

كأنَّك حُلْمُكَ ضُمَّ
إليكَ... ولم يكذِب !...

أجملُ الأعراس

ذكَّرتَني، شجَراتِ، اللوز، بالأبيضْ،
بثوبِ إكليلها وهْيَ اليمامُ البضْ،

بها... تخطَّرُ... تسترخي مدلَّلةً
على ذراعِ فتىً كاللَّيثِ إنْ ينقض.

سَيْفٌ وبحرٌ معاً حتى لتعبدُه،
تقولُ: طَرْفُ الردى إمّا التقاه غض.

مَلاكُـــه هيَ، إن دسَّت أناملَهـــــا
بين الورود استحى شوكٌ لها وارفض...

الله يا شجـــراتِ اللَّـــوز، غَرْنَ ولا
تَغَرْن... فالحُسْنُ أشْهى الحسنِ ما أمرض!

مِن الزمـانِ أراهـــا اليـــومَ راجعـــةً
تمشي الـى بيتنـا في طَرْحـةٍ أعـرض.

ودِدتُ لو أتلقَّاهـــــا وأحبِسَهـــــــا
في القلبِ شقراءَ شُقْرٍ كالشعاعِ الغض،

أُغنيَّـــةٌ هيَ في بالـــي وأسمعُهــــــ
مهبَّ ريحٍ دنا أو ناسِمـاً أعـرض...

لا لا تخيَّلتُهـــا إلا وزَنْـــدُ أبـــــي
يلُفُّ منها عروساً خصرُهـا ينـهض...

فخر الدين الثاني

يا اندفاعَ الأمواجِ في شاطئِ البوسفور،
رِفْقاً بذكرياتِ الأميرِ !

ببقايا حُلْمٍ تفوَّفَ بالصُّبح،
وألوى، فالصبحُ مأتمُ نور،

فيه من وثبةِ الجريحِ الى الثأْر،
وفيه من احتضارِ النسور !

*

هو فخرُ الدينِ، الفتى، يقرأُ الأيامَ
في قولِ خازنيٍّ وَقور،

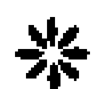
فيرى الأمسَ من مذابحَ حُمْرٍ
نافراتٍ على ممرِّ الدهور.

جَدُّه، قِبْلةُ الشموس، قتيلٌ،
وأبوهُ، دنيا أسىً، في حفيرِ،

والدُّروزُ الأُباةُ يُغْويهمُ السيفُ،
فيستقبلونه بالصُدور،

وإذا وجهُ عين صوفرَ أشلاء،
وآفاقُها بلون الزفير،

ويغضُّ الأميرُ طَرْفاً، ويُخْفي،
خلف جفنيه، هَزَّةً للعصور.



بسَمَ الدهرُ للشريد، وأعلى
العرشَ، ظمآنَ، للأميرِ الصغير،

أرضُ لُبنانَ حَفْنَةٌ، إنما ملعبُ
عينيهِ بَعْدَ بُعْدِ الضمير،

عصرت قلبَهُ حدودٌ دوانٍ
فرآها على شَفا المعمور،

واستثارَ الأبطالَ يَستلهمون
المجدَ... دوري بهم، ذرى المجدِ، دوري!

سالَ فيهم شاطي طرابُلسٍ، وانشقَّ،
تِيهاً، عن أنجمٍ في مسير،

وتداعى عرشُ ابن سَيْفا الى التُّربِ،
وخلّى الصَّدى بِصُمِّ الصخور،

فاذا يُنصِتُ البنونَ الى الموجِ،
يُحسُّونها قناً في الهدير !

*

وتنادَوْا من الشِّمالِ الى زحلةَ
يسترفدونها في الكُرور،

فيهبُّ الشجعانُ ضجَّ لهم سيفٌ
وغنّى رمحٌ سيبقى سميري...

دانَ مجدُ الفُريخِ، دانَ شَفا
الأُردنِّ، في وثبةٍ ونفخةِ صور.

عُصْبَةٌ بُسَّلٌ رَمَوْا بالمواضي
عند قبرِ المسيحِ، رمْيَ النُّذورِ،

قيل: حجٌّ ! وقيل: شوقُ سُيوفٍ
نزلَتْ في النُّهى نزولَ النُور.

*

كاد وجهُ الأَمير يَحجُبُ من مجدٍ
عريقٍ، على السُّهى منشور !

كاد لبنانُ يلتقي العاليَ البابَ
بزَنْدٍ سَمحِ الفُتولِ، قدير !

فتلوَّت أَستانةٌ روعةَ الواجف
هزَّتْهُ غَصَّةُ المقهور،

حلَمتْ بالشواظِ يُمْطِرُ لبنانَ،
وبالكرِّ بالعديدِ الوفير،

فإذا البَرُّ من غُبارٍ عُبابٍ،
وإذا البحرُ من دُخانٍ حَرور،

مِن عِدىً بُكَّرِ العَتادِ، تكاد
الأَرضُ ترنو إِليهم بنفور.

لم يَرُعْهُ التقاؤُهم وعلى الكفّ
فؤادٌ له حبيبُ الكرور،

راعه حُلمُه تُحطِّمُه الأَقدارُ،
طفلاً في هدهداتِ السرير،

فامَّحى عن عَدِيِّهِ، يكظِمُ الغيظَ
اشتياقَ اليومِ الكبيرِ الكبير.

*

بينما الناس هُيَّمٌ بِعليّ
وَلَدِ السيف، حَدُّه المستطير،

كان في مقلَبِ النهارِ أَميرٌ
مُجهَدُ الطَّرْفِ، مجهدُ التفكير،

يتلوّى على الخريطة، حُلماً
شائعاً في خطوطِها والسطورِ،

مُتْعَبٌ، يَفجُرُ الأَسى مِحْجَرَيه،
وتداويه بسمةُ المحرورِ،

تعتريه، شوقاً الى مجدِ لُبنانَ،
ارتعاشاتُ مطلبٍ مأسور

ويودُّ التقاءَةَ الأَرز بالوهم،
فيَجري به الى البوسفور،

واذا بالنهارِ يستبقُ الليل،
ويطفو في قلبه الموتور،

فتقول الخريطةُ ارتقصتْ زهواً،
وطارتْ من كفّه في سرور !

حَملَته الى شواطئِ لُبنانَ،
أَواذِيُّ من منىً وحُبور،

والتقاه البَلاطُ مولىً سيحمي
جبهةَ التُّركِ من عدوٍّ مُغير،

« شَفيتْ من طموحه » مقلتاهُ،
وتعرّى من الخيالِ الخطير،

لو رأَوْا في البَلاطِ نوراً لكبُّوا،
في خضمِّ البوسفور، باز القصور !

*

داسَ في أَرضه الأَميرُ، فراح
الجبلُ المَيْتُ في ثيابِ النشور،

وسرت رِعشةٌ بلُبنانَ هزَّت
من ذُرى أُرزه الى صخرِ صور:

أُمَّةٌ تستردُّ مجداً سليباً،
وأميرٌ يلهو مع المقدور.

يا حِجاراً خوافتَ اللونِ في لُبنانَ،
قُصّي كتابَ عهدٍ نضير!

قَلعاً كنتِ، ضاحكاتٍ من النَّجم،
حساناً، ممرَّداتِ الخصور،

أَنت تَيرونُ! أَنتِ عجلونُ! أَنتِ
المَرْقَبُ السَّمحُ ماطراً بالسعير!

أَنا ما دُستُ مرَّةً حجراً منكِ،
ولم أَنتفضْ لذكرى الأَمير!

حَدِّثي! حدِّثي! ففي لونكِ الناحِل
أَطيافُ جيشِنا المنصور!

سالَتِ الأَرْضُ بالخيولِ معَ الأُردنِّ،
سالت مع الخيالِ النَّفورِ،

تزرعُ الرايَ خافقاتٍ، من العاصي
الى المْيتِ، ضاحكاتِ النُّشور،

ومن الأَبيضِ الكبيرِ الى تَدْمُرَ،
رقراقَةَ السنى والحُبور.

ضحكتْ، يومَ عنجرَ، الأَسَلُ السُّمْرُ،
وشكَّتْ قلبَ الضحى المستجير،

لَجِبٌ طَيِّبُ العَتادِ التقته
باقَةٌ من شبابنا الممرور،

سايفته،لا قَطْعُها قَطْعُ جُبنٍ
رامحته،لا شكُّها شكُّ زور.

أجفَل السهلُ للطِّعانِ ، وأغضى
وجهُ حَرْمونَ للدم المهدور،

ينثرُ السيفُ قِرنَهُ، فتخالُ
الأنجمَ الحمرَ من حُسامٍ نثير،

وتخالُ الأميرَ، في جَيشِه العابسِ،
يمشي على ابتسامِ الثغور،

ظلَّ هَزْجُ الفرسان يلعبُ بالليل
الى سفرةِ الصباحِ الطرير،

فاذا صبحُ مصطفى، قائدِ التُّركِ،
حزينُ السنى، حزينُ السُّفور،

ما رآه الأميرُ إلا التقاه
بسخيٍّ في كفه، موزور،

ضربَةٌ منه سمحةٌ كبَّتِ الفارسَ
في قلبِ جيشه المدحور،

وأطلَّتْ شمسُ الغَمامِ، فحيَّت
جُنْدَ لُبنانَ بالشعاعِ الغرير،

ما انتهى مصطفى فقال ابنُ مَعْنٍ:
« يُعْطِكَ الله، لستَ لي بأَسير،

أنتَ حرٌّ! فطِرْ الى الشمسِ قلباً
واملأْ العينَ من سنى التحرير! »

*

نكَّستْ هامَها الجبالُ، ودان
الشرقُ للمستقلِّ فيه، الجدير.

وجهُ فخرِ الدينِ انتفاضةُ قلبٍ
مستهامٍ الى الخيالِ، كبير،

قِدَّةٌ من جبالِ لُبنانَ، في الليل،
ومن ضحكةِ القنا في النحور،

يعتلي صهوةَ الجَوادِ عَبوساً،
فعلى الشرقِ رِعشةُ المخمور،

ويذوبُ الصهيلُ في سمعِ أُسْتانةَ،
نجوى جِداً ونجوى نفير،

أيخلّي مرادٌ الرابعُ العرشَ
على وهدةِ الردى والشفير ؟

أيخلّي أُميرَ لُبنانَ تَيّاهاً،
يشكُّ البندينِ في البوسفور ؟

حُلُمٌ في خيالِ لُبنانَ رحْبٌ،
رعرعَتْه فينيقيا في الصدور:

سُفُنٌ تمخرُ العُبابَ وتُبقي
الهِرقليّاتِ، خلفْها في قصور،

تقصدُ القُطْبَ، والشواهقَ في القطب
تؤاخي مناجماً في بكور،

وتدورُ اعتزازةً حول بِكْرِ الأرض،
تُغري النُّضارَ من أُوفير،

تزرعُ المُدْنَ في الشطوطِ، تربّي
قاهرَ المستحيل رمزَ القدير.

ويتيهُ السلطانُ في حُلْمِ لُبنانَ،
فيُلوي على جِسامِ الأُمورِ.

*

حملةُ اليوم، لو تكونُ للُبنانَ،
لردَّته سيِّدَ المعمور!

مِن رجالٍ أَوْفَوْا على الهمِّ عَدًّا،
وسفينٍ أَربت على التَّقديرِ،

فاللَّهيبُ اللَّهيبُ يُمطرُ لُبنانَ،
ويرميه بالردى والدُّثور،

ويخلِّيه شعلةً من صخورٍ
بعد أَن كان شعلةً من زهور،

وحوالى الأَميرِ من كاظمٍ قَسْراً،
ومن حاسدٍ أَتيِّ الشرور،

أَعينٌ يخنقُ السنى لفتةً منها،
فتُغضي على مُرادٍ ضرير،

ما اطمأَنَّتْ للتُّركِ يولونها القوةَ،
إِلَّا تفجَّرت عن قبور،

العِدى في رجاله، والعِدى التُّركُ
بحورٌ إليه إثرَ بحور،

يلتقيهم لبنانُ بالعُصبة البُسَّلِ
تاقوا الى الطِّعانِ الأَخير،

فيموتون عن نفوسٍ كبارٍ،
وينامونَ ملءَ طرفٍ قرير.

قلعةٌ إثْرَ قلعة تُسْلِمُ الأَبراجَ،
إلَّا تَيرونَ، أُختَ النسور،

معقِلُ الحُلْمِ كم أَبت أَن تَداعى،
هُزُؤاً بالزمان والمقدور،

ما رماها الأَميرُ بالدمع، لولا
السُّمُّ في مائها الزلالِ النمير،

ورعته بطرفها ورعاها
في وداعٍ أدمى غناءَ الطيور،

ومضى، سيفُهُ كسيرٌ بأستانةَ
مُخضوْضِبٌ بحلْمٍ كبير !

*

يا اندفاعَ الأمواجِ في شاطئِ البوسفور،
رِفْقاً بذكرياتِ الأمير !

الهُنَيهة

عالَمٌ طيّ نَغَمْ،
يتحدّاه العدمْ،

ضَمَّةُ القَبْلِ إلى البَعْدِ
بعُمْرٍ مُتَّهَمٍ
[illegible] !

دقَّ كالبرقة، شُكَّت
خيمةً فوق الأُمم،

لا وثوبٌ في ظنونٍ
لم يُفجِّرْهُ هِمم،

أو بِناءٌ من خيالٍ
لم يُرغرغهُ شَمَمْ،

يُخصِبُ الفِكرةَ يستنطِقُها
السِرَّ الأَصمْ،

ويعرّي بيديه
الشمسَ في قلبِ القَتَم.

*

وإذا نحنُ، الى الله،
شِراعٌ في خِضَمْ !

تكسّرت الأسياف

تصبَّاكَ شِعري، قلتَهُ قِمَمَ المجدِ،
سلامٌ عليه السَّيفُ أُعجِبَ بالغِمْدِ !

وقلتَ به ما صيَّر الآهَ وردةً
وأنتَ جِراحُ الآهِ، يا نسمةَ الوردِ !

---

* في يوم امين تقي الدين.

حَبَبْتُكَ، ما حُبّي الشهامةَ ؟ ما الغِوى
بأَهلي وبالقِمّاتِ من جَبَلي الفَرْدِ ؟

أَنا، بعدَ ما طَلَّمتنيهِ تطلّعتْ
جهاتي إِلى نفسّي ونفسي إِلى الزُّهدِ.

هُناك التقينا وافترقنا،... جراحُنا
لتبنيَ، لكنْ أَنتَ تسكرُ بالوعدِ،

وأَقسو أَنا أَقسو، أُريدهُمُ لها،
فإِن جَبُنوا طُلْتُ الجناحين لي وحدي.

*

كأَنّي مهبُّ الرّيحِ، والصَّعبُ منزلي،
وشُغْلِيَ حَطُّ الحُسْنِ في الحَجَرِ الصَّلْدِ.

كأَنّي غموضُ الليل، لم يَبْقَ عازفٌ
لِجنّيَةٍ إِلّا ورقّصها عندي..

أقولُ: الحياةُ العزمُ، حتَّى إذا أنا
انتهيتُ تولَّى القبرُ عزمِيَ من بعدي

وأقرأتني يوماً كما لو من الصَّدى،
ومن كاعبٍ في الشِّعر عاليةِ النهدِ،

لَتَفدى الحياةُ استُجمِعَت في قصيدةٍ
وغَنَّت وردَّت... فانتشى الأفقُ من رَدِّ...

تقول بها: «خَبَّأْتُ، يا ليلُ، فيكَ...» ولْيُكَمِّلْ
ويَفْنَ الليلُ في النَّغَمِ الرَّغْدِ!..

تعاظَمَني ما ظَلَّ منها وما انتهى
ويُعدي، وعينيكَ، البهاءُ به، يُعدي...

وصِرنا هيَ الدِّفلى... وصِرنا أنا الندى.
ونُنقَشُ من ديوانِ شعرٍ على الجِلْدِ...

ذَرُوني... سأَطوي قصَّتي مع قصيدةٍ
الى أن يطيبَ العُودُ في نَقرةِ الكُرْدِ.

*

ويا أيُّها الدِّيوانُ ضَمَّ شمائلاً
كما ضمَّ موجوعَ العَرارِ ثرى نَجْد،

تَنزَّلْ تُخَلِّ الشِّعرَ أَشْعَرَ، والهوى
أرقَّ، وذاكَ المنحنى جنَّةَ الخلد !

لِحِبْرِ هَمي كالضوءِ عن جَرِّ ريشةٍ،
تطلعَّتِ الأَقلامُ تَنهلُ مِن نَدّ...

هُو السَّفْحُ يُستهوى، على أَنه الذُّرى
إذا قُصِدَتْ خلَّت لُهاثاً على القَصْد،

كذا طُرُقُ الأَبطالِ في القولِ والوغى
وما سَهُلَتْ الّا جبانةُ مُرتَدّ.

إذا نَقْطُ حرفٍ شاءَهُ رَبُّ مِرْقَمٍ
أنيقاً، فقلْ عينٌ تَعذَّبُ من سُهْد.

تعالتْ يَداهُ شاعِرٌ، كلُّ نَسْمَةٍ
تُلِمُّ بما أخفاه، تَشقى بما تُبدي،

وَلُوعٌ بأنغام السُّكوتِ يَصبُّها
لِمِلَّة رَفْضٍ، يُسْكِرُ الضِدَّ بالضدِّ،

أنا واحدٌ منهم، فلولا أنينُه
لكانتْ لِقرطاسي جفاءَةُ مُعْتدّ.

يقولون بي غالى ؟ أنا بَعْضُ نُبْلِهِ
وأنظِمُ، عيني في قصائِدِهِ المُلْد...

سَليلُ الأُولى قيلوا السيوفَ[1]، رَنَتْ لهم
جِبالٌ وقال الحقُّ: مِن بعضِهِمْ جُندي.

---

١) الدروز.

على ريفِ لُبنانَ نَمَوْا مثلما نما
الضياءُ، وسالَ الفَجْرُ في القِمَمِ الجُرْدِ،

وأنّى مَضَوْا ظَلُّوا بلبنانَ قلبُهُمْ،
ويَصبو الى أرْضِ العرينِ هَوى الأُسْدِ.

يُشرِّقُ شَطٌّ أو تُغرِّبُ مَوْجَةٌ
وهم عنفوانُ الصخرِ ليس الى شَدٍّ.

أنا اليومَ منهم في قصيدةِ شاعرٍ
لَتَسكُنُني كالريح تَلْفَحُ من بَرْد.

أعودُ اليها الآنَ هل طابَ نَقْرُهُ
على العودِ، ذاكَ الغارسُ القُرْبَ في البُعد؟

وذاتِ دَلالٍ كلَّ صُبْحٍ تَزورُني
فأقرأُها مِن أخْمَصَيْها الى العِقد،

الى جَبْهَةٍ باقٍ على الشمس ظِلُّها،
إليها جميعاً إذ تَعَرَّى مِن البُرْدِ:

هنا مِثْلُ قَوْسٍ ضاربٌ فوقَ هُدْبِها،
هنالك صُبْحٌ صيغَ مِن سَكْبَةِ الزَّنْدِ،

وتَعذُبُ... لكنْ ليس تَسْهُلُ، صعبةٌ،
فتُعطي ولا تُعطي، مُلعَّبَةَ الصَّدِّ

بِقَدٍّ تسامى زنبقيًّا فإنْ هوى
وأَوجعَ... قُلتَ اللحنُ ماتَ مع القَدِّ.

وتَقْلَقُ دوماً ليس تهدَأُ، فهْيَ لي
ولِلوجد أو للمجد، أشهى من الوجد!

وزِيدَ عليها مِثْلُ لا شيءَ، مِثْلُها...
كما لَفْحَةٌ تَنْسَى الإله على الخَدِّ.

ويَزْلَقُ بي طرفي... أَشَلّالُ لُؤلُؤٍ
سنى الجِسْمِ مَذْرِيًّا على الشَّعَر الجَعْد ؟

أَبيضاءُ أَم صَهْباءُ ؟... دَعْكَ وضُمَّها...
كأَنْ قد أَضلَّتكَ الغِلالَةُ عن رُشْدِ...

تَمتَّعْ... صِبا حسناءَ ذاكَ أَم آنه
قصيدةُ مَن إِن راح يَنْظِمُ لا يُردي ؟

به أَو ببعضٍ من سُلالةِ شِعرِهِ
زهونا زُهُوَّ البرْقِ أَو قصفةِ الرعدِ...

وربَّ كلامٍ رُخْتَ تَنسى رنينَه
ومِدْرارُهُ ما زاد عن حَبَّة الرَّند،

تكسَّرتِ الأَسيافُ دونَ جَلالِهِ
وقالت بلادٌ: حُجَّةٌ، إِنه مجدي !

مِن ورديتين اثنتين الشمسُ ...

سيفٌ على البُطْلِ أَم شيمائُكَ الحُرُمُ ؟
ـــ يا شِعرُ خَلِّدْ ـــ وسيفٌ ذلكَ القَلَمُ!

فكيفَ مَرُّكَ بالجُلَّى ؟ سأَلْتُكَ قُلْ
ما هابَكَ الموتُ ؟ ما انزاحَت لك الظُّلَم ؟

---

* في ذكرى شبلي الملاط.

ماضيكَ، غزّارَةٌ كالصحـــو، مُلْتَـــفَتٌ
كأنَّما الصَّقْرُ في تَحديقِـــهِ نَهَـــمُ،

صَدَّقْتُهُمْ كُلَّ هذي صُوِّحَتْ، طُوِيَتْ،
صَدَّقْتُهُم فَتَّ في عَزْمِ الشَّبا الهَرَم،

صَدَّقْتُهُـــم عَلِمـــوا بالعَبقـــريِّ مضى،
لكنهـم بِشمـوخ الـرأْسِ ما عَلِمـــوا.

*

بالأمس ديـــوانُكَ استنجَدْتُـــهُ عَبقـــاً
منـــه الخَـــزامُ، عَلِيَّـــاتٍ به القِيَـــمُ،

فَخِلْتُني فَلَكيـــاً، مِثْـــلُ البـــراعَةِ لي،
حَولـي يَدورُ السُّهـى يَجثو ويَستَلِـمُ،

أَبابـلٌ، قلتُ، زارَتْني وقـد حَمَـــلَتْ
إِلَـــيَّ أَشيـــاءَ أَم غنَّانِـــيَ الهَـــرَمُ؟

ولِعْبتُ، أولَعْتُني، ودّتْ لو تكونُ أبا
روحُ الربيعِ، وودَّ الزَّهْرُ والأكَمُ!

*

ما لي أغنّيكَ: «أهلي النورُ منبتُهم،
عالُونَ كالأرزِ، جارُ اللهِ، ما رَغِموا

ما نكّسوا هامةً إلّا لخالقِها
إلّا لِلُبنانَ ما دانوا وما احتكموا،

في إثْرِهِمْ أنا، دُنيايَ الجمالُ، وإنْ
باعدتُ فالسفحُ من لُبنانَ والقِمَمُ،

إلّا إليكَ، إلهي، ما ملكْتُ يدي
لجوعةٍ؟ مِنْ شَرَفي خُبْزٌ ومغتنَمُ

ويومَ مرَّ ببالٍ أنْ تكونَ لنا
يَراعةٌ بالهُدى والنُّبلِ تضطرمُ،

عليّ السنى وعلى شَكّ القنا رَبِيَتْ
علـى الزئير ءأوانـاتِ الحِمَـى أَجَــم،

ظَنَنْتُ شِعْرَكَ فخـرَ الديـن مُنتهِــراً:
« جنودَ عنجرَ، هذا يومُهـا الهِمَـم ! »

يَسْخَى فيَسْخَوْن، قُلْتَ السيفُ في يده
يسخـى وتلتـفِتُ القِيعــان والرُّجُــم،

حَرْمونُ في الأُفْقِ يَروي عَن بطولتهم،
صِنِّيـنُ يَغـوى بِهـم تِيهاً ويَنسجـــم،

لله ما مادَ مِن بُرّجٍ، وزُلْــزِلَ عن
سَرْجٍ، ومَن قَضَموا رُمْحاً ومَن قَحَموا،

هُمُ الأُولـى أَخــذوا عن راسياتِهـــمُ
أَنَّ القِــلاع وأَنَّ الراسيـــاتِ هُمُ !

حَتَّى إذا قال: « كُفُّوا، قد عفوتُ أنا،
بِحسبيَ النَّصْرُ، ما لُبنانُ مُنْتقِم »،

تَلاحَظَتْ مِن أساها الخيلُ صاهِلَةً،
وقُتِّتَتْ كاظماتٍ غيظَها اللُّجُمُ،

لكنَّما عَبْسَةٌ من حاجبيه طَغَتْ،
فعادَتِ الخيلُ كالفُرسان تَبتسم !...

*

طَابَت قصائِدُ خِلْتُ الجيشَ مندفعاً
فيها، ومؤتلِقاً في أُفْقِهِ ٱلعَلَم !

شِعْرُ الرجولَةِ، شبلي، أنتَ نَبْعَتُهُ
بِكَ ارتوت أُمَّةٌ، مِنك انتَشَتْ أُمَمُ.

بَلى بَلى، لَكُما في الدَّهْرِ وَقْعُ خُطىً
على العُلى لُوِّنَتْ مِن شأْوِها الدِّيَمُ.

أَلْفاظُكَ الدُّهْمُ حُمْرٌ حينَ تَرْصُفُها،
لا حُمْرُهُ أُسْرِجَتْ أَبهى ولا الدُّهُمُ.

أأَنتَ أَمْ هُوَ مَنْ خَلَّى الجَمالَ على
مفارِقِ المَجدِ، مُفْتَنًّا بما يَسِمِ؟

خَلَطْتُ بَينكُما حتَّى لَأَسأَلُهُ
أَشاعِرًا كانَ حِينَ الطَّعْنُ مُحتدِم؟

تَوَقَّع السَّيفُ يَوم اختالَ في يَدِهِ
ما سَوفَ تأْخُذُه عن حِبْرِكَ الحُمَمُ.

أَنتَ المُرَوِّعُها الأَفْكارَ تأْسِرُها،
هو المُمَنِّعُها الهِمَّاتِ يَنْتَظِمُ.

هُنا امتشاقٌ لمعنىً رَنَّ بارِقُهُ،
هناكَ نَقْطٌ بِنَصْلٍ والحروفُ دِمُ.

تُغـري ويُغْـري فَلَفْـظٌ منكَ هَزٌّ قنـاً،
ومنـه قَطْـعٌ تَقـولُ البـيتُ يُخْتَتَـــم.

أرهفتُماهـــا القَوافـــي حَدُّهـــا لَهَبٌ،
أجريتُماهـــا المَـــواضي سَيْلُهـــا عَرِمٌ.

مَرَرْتُمـــا فوقَ دُنيانـــا معـــاً ومعـــاً
لاعبتُمـا المـوتَ حتَّـى لَهْـوَ مُنْهَـــزِم.

يا صِنـوَه مَنبِتاً ذاكَ الـــذي نَحتـــوا
مِن اسمِه اسمَك، هَل أُنطَقْتُ مَن وجَموا ؟

تفي ولو أَنتَ خَلْفَ القبر، هاكَ أَنا،
في يومِ خُلْدِكَ، صوتي بَعْضُهُ الكرم.

مِن وردتيـنِ اثنتيـنِ الشَّمسُ أَرفعُهـا،
فالكونُ شَخْطَةُ حِبْرٍ والمَدى كَلِـم !

في البالِ خلف الحرير الزهْرِ خاطرةٌ
تململت قُلْتَ حُسنٌ بالهوى بَرِمُ،

ـــ « حبيبيَ الحُلْوَ، نادت، والذِّراعُ على
جيدٍ، وُجُودٌ أَنا أَم وَهْمُ مَن وَهموا ؟

حَلَمْتَني ؟ أَكْمِلِ آخْلُقْ، ليس أَجملُ من
إطلالةٍ راكعٍ في بابها العَدَم.

مِن بَعدِ ما أَلتقي نفسي يُخَيَّلُ لي
أني أنا قُبلةٌ حَرَّى وأَنتَ فَم ».

لا لم أُجِبْها، جمعتُ الدَّهرَ، مَن عشِقوا،
مَن أَسكَروا الكأْسَ، مَن قالوا ومَن أَثِموا.

سَقيتُها لا دمُ العنقود أَطيبُ لا،
ولا الخلودُ ولا ما فتَّقَ القِدَم،

وما بقرطاجَةَ استَهدَوْا وما اعتَزَمَتْ
بِبعلبكَّ الطِّوالُ السِّتَّةُ العُظُم.

رَويتُها لي، لِبالي، لِلزهور، لَها،
كما رويتَ لِعودٍ أَنَّهُ نَغَم!

فَقَرَّبَتْ شَفَةً وَلْهى إلى شَفَةٍ،
وهَبَّ يَعْطِفُ قَدَّ الزنبقِ النَّسَمُ.

أَوَّاهِ مِن كَرمةٍ لَم يَصْحُ قاطفُها
إلاَّ ليشهَدَ هذا الكونَ يَنعدم!

ومَن رَقَى الموتَ؟ مَن قالَت أَصابعُهُ
سأَسْحَر السِّحْرَ حتَّى تُبْعَثَ الرِّمَم؟

أَمانَ عَينيكِ، بيتَ الشعر، أنت لها،
يا أَنْجُمُ ارْقُصْنَ لي، غَنِّينَ يا سُدُم!

الشِّعر قَبْضٌ على الدُّنيا مُشعشِعَةً
كما وراءَ قميصٍ شَعْشَعَتْ نُجُم،

فَأَنْتَ والكَونُ تيَّاهان: كَأْسُ طِلاً
دُقَّتْ بكأسٍ وحُلْمٌ لَمَّهُ حُلُمُ.

*

عالٍ كما أَنتَ شبلي، ما رَشَقْتُ به
بابَ السماءِ وما بالغَيب يَصطدِمُ،

أتي على المُغلَقِ المَرصودِ فانفَتحت
كَفٌّ من الله ما الأزهارُ ؟ ما الحِكَمُ ؟

شِعرٌ إليَّ يَشُدُّ المنتهى جَزِعاً
قَلْباً، ومِنهُ بقلب المُنتهى أَلَمُ.

سارَرْتُها الشمسَ، أيُّ الخَمْر يُسكِرُها
حتَّى أُصُبَّ ؟ فقالت: « يُسْكِرُ الشَّمَمُ ! »

النهران

وُلـدتُ سريـري ضِفَّـةُ النهـر، فالنهـرُ
تآخى وعُمري مثلمـا الـوردُ والشَّهـرُ،

وكـان أبـي كالْمَـــوج يَهْـــدُرُ، مرَّةً
يُدحرج من صَخرٍ وآناً هو الصخرُ!

---

* في الاحتفال بنيل شولوخوف جائزة نوبل.

وقد علَّماني الحَقَّ، ما الحَـقُّ ؟ دُفْعَـةٌ
كما السَّيْلُ عنه انشَقَّ واخضوضَرَ القفر.

وعُمْـــرٌ شَرارٌ ليس يأْسُنُ ينتخـــي
على الصعْب، فهو الشَّرْدُ والبردُ والحرّ،

وأَنك خَطٌّ كالشهامـــة واقِـــفٌ
إذا انهار ظَهرُ الناسِ أنتَ لهم ظَهر.

ومـا قَلَمٌ بالكَــفِّ إن لم تَهِــم به
مواضٍ وتَـحْسُدُهُ الرُّدينيَّـةُ السُّمْــر !

تَوحَّـــد مَنْ مِن حَزِّهِ طاب حِبْـرُهُ،
ومَـن بتلقـي طَعْنِــه افْتُتِـــنَ الصَّدر،

أَنـا عنهمـــا ذَيَّـــنِكَ الشائِليـــنِ بي
أَخذتُ ولـم أُسكَرْ، وبي تَسكرُ الخمر !...

كأنِّيَ بين الموج والمجدِ ساكنٌ،
وداريَ بنتُ الصُّبح ما شابَها عَصْرُ.

لَئِن تَحْكِ عن نَهْرٍ فشَطْرُ قصيدتي
يُطِلُّ، وهُزَّ السيف يكتمِلِ الشطر !...

*

تُحَبِّبُنِيهِ « الدونَ » كُلُّ ترابةٍ
سَقاها سَقى أُختاً لها القَلَمُ النضْرُ ؟

كلامُكَ يُغريني، يُرنِّحُ خاطري،
يُذكِّرني بالأرض، أرضي اللّها ثَغْرُ،

تُقَبِّلُ حتّى لَهْي أُمٌّ... وطفلَةٌ
رِضىً... وعروسٌ فاحَ مِنْ رُدْنها العِطر!...

أُغنّي أنا لُبنانَ أَجْمَلَ ما شَدا
كَنارِيُّ غُصن رَقَّ، لكنه نَسْر...

وأنْتَ تُغنِّي رُقعةً من جبالها
جبالٌ، عليها مُتعَباً يَتَّكي الدَّهر.

كِلانا شَغوفٌ بالضِّفاف وأهلِها
يُنَشِّئُهُم نَبْعٌ يُخَلِّقُهُم زهر،

كَنَبعهِمُ أعطَوْا جديداً وطَيِّبوا،
كزهرِهِمُ الدنيا، وكالزهرةِ افترُّوا...

تُغنِّي هدوءَ «الدون»؟ عَفْوَكَ: أهلُهُ
إذا بَعثروا فَجْراً أهَلَّ لهم فجر!

جَلَلْتُكما عنها فلا «الدونُ» هادئٌ
ولا أنت، إلَّا أن يَلُفَّكما السِّرّ.

أُسائِلُ: «هل حارت بغير نُهاكُما
عقولٌ، وهل جاهى بمثلِكما العَصرُ؟

ونَهْرُ الرجـالِ المُنتهـي خَلْـفَ أنجـمٍ
وأنت تَخُـطُّ النهـرَ، أيُّكُمـا النَّهـر ؟ »

*

حَبيـــتُكَ، يا غزَّارَةً ما تجاهَـــرَتْ،
ومَن قال: صوتُ الناي أجمَلُهُ الجَهْر ؟

تَميـلُ على القِرطـاس تأمُـرُهُ: آمتشـــلْ
غَمامـاً، فيَسخـى ليسَ يَجْرحـه الأَمرُ،

إخـالُ الرِّقـاعَ الخُضْرَ بِتْـــنَ حبائبـــاً
إليكَ... فها عُنْقٌ يضِجُّ وها خَصْرُ !...

وأنت حَوالَيهـــــنَ كَفٌّ عطيَّـــــــةٌ
كما الله إنْ قَطْراً أرادَتْ هَمى القَطْر !

وإن أنتَ قصَّفتَ الـــغُصونَ تلألأتْ
غصونٌ عليهـــنَّ الطيـــورُ لهـــا كَرٌّ.

تُعاتِبُ أنتَ الشِّيحَ والريح، باعداً
عشيّاً، فتبكي الريحُ والشيحُ يصفرُّ !

ألا أين مِنْكَ الصاحبون ؟ هَزَزْتَهُم
بِقولٍ وبعضُ القول ناهِدَةٌ بِكر.

لِطَرفةِ جَفْنٍ مِن حَياها غَضيضةٍ
يَذِلُّ الذي في القَصْر أو يَقَعُ القصر،

ولِلَّفْظةِ المكنونِ سِرُّ جمالِها
نَفاذٌ كهَدِّ المَوج جُنَّ به البحر.

*

تَقُصُّ ؟... ارتفق بالشِّعر، أنت بدَعْتَهُ
كلامُكَ زَهْرُ الجَمْر لو يُزْهِرُ الجمر.

تَخُطُّ كما خَطَّ اللعوبون بالعُلى
على أنمُلاتٍ منهُمُ اغترب الفِكر،

يَحُــرُّونَ كونــاً، يَنزِلــونَ بآخــرٍ
وكُلٌّ على كَفٍّ... فقلْ بعدُ ما السِّحْر !

*

إليكَ بنَفْــحِ الأَرز جَمًّــا بعشِّــهُ،
وعُلِّــقَ عُودُ اللهِ في الأَرز. فالنَّقْــرُ

وشيكٌ. كُنِ العــوَّادَ واْضرِبْ بريشةٍ
على مَوعدٍ مَعْ مثلِها العَمْرُ والغَمْر.

وأنتَ من اللائــي يُحِبُّــونَ. إنهــم
على أَرضِكَ المِعطاءِ، أَفديهِم، كُثْر.

ومِن عِندِنا المَجْدُ الذي المَجْدُ بعضُهُ
إليه رنا مَن أُلْهِمَ السِّفْرَ، والسُّفْرُ،

فَلَمْ يُعْطَهُ من سار بالشِّعر لاهثــاً
ولكنَّما مَن جاءَ يَقصِدُهُ الشِّعــر.

اللون الآخر

بيالـي مررتَ اليـوم، فَلْيَشتعِـلْ بالـي،
كأنكَ قَصْفُ الرعد في الجبل العالي،

كأنكَ لونٌ في الطبيعــــةِ آخَـــرٌ،
أوِ اسْمٌ كطيرِ الرُّخِّ أو شجرِ الضَّال.

* ليلة تذكر الرفاق عمر فاخوري.

لِخاطــــرةٍ أُغرِيَتَهــــا وحَبَسْتَهــــا
بلفظٍ، بكى غيــرانَ لؤلــؤُ لَآلِ.

إذا القولُ ما شَدَّ الربيــعَ، ولا شدا
على كلِّ حرفٍ منه عُصفورُه الغالي،

ولَم يَسترخْ فيه الزمانُ، وتشتبكْ
نجومٌ بأزهارٍ، كما المِعصمُ الحالي،

فلا كان !... إن القولَ ما آهَ من هوىً
وشعشعَ، قلتَ الأرضُ مُسَّتْ بزِلزالِ.

*

حَبيبتُكَ تُغني العَصر، تُطلِقُهُ علــى
الرِّياحِ، تُمَنِّيهِ بإكثارِ إقـلالِ،

تُلقِّنُه كيــفَ افتتــانُ أصابــعٍ
بمجدٍ، وكيف المَجدُ تَحطيمُ أغلالِ.

فلا صَغُرَتْ أَرضٌ، ولا قَلَّ شعبُها،
ولكنها الدنيا لِجَوَّابِ آمال !

لِمَنْ بَرِمَتْ منه يدانِ رماهما
بأن تغدُوَا في السكب دفقةَ شلاَّل !

فلا شيءَ مما طاب شيئاً ولعبةً
تشيل الرُّبى، إلاَّ تأَتَّى لشيَّالِ !

*

كفى أَن تُحِبَّ الحُسْنَ، مقلَعُكَ السَّنى،
تُقصِّبُ: باني الضوءِ بانٍ لِأَجيال.

*

ومَنْ ماردُ الباب الذي قلتَهُ ازدهى
وطُيِّبَ مَرصوداً كما الماءُ في الآل ؟

يقولونَه حُلماً يُخَيِّبُ ؟ ويحهم !
أَما واهِمٌ بالحُبِّ أَشرَفُ مِن سالٍ ؟

مُقـــامُك في أَرجائهـــم كان هَتْفَـــةً
بموتـي، وكـان المستجيـرَ بأَظـــلال:

تَخالُهُـمُ دنيـــاك، إِذْ هُمْ بَريقُهـــا...
وآلهـــةً، إِذْ همْ تماثيـــلُ صَلْصال...

*

سيَبقـى لك النَّسجُ الـذي أَنت ربُّـه،
ولِـلشمس نَسْجٌ كُلُّ ما دونَـهُ بالِ.

غُبـارٌ على الثَّـوب الـذي أَنتَ خالـعٌ
لَمِنْـــهُ عروشُ الأَرض تُشرى بمِثقـــال.

وإِن أَنتَ، يومَ الرَّصْد، ما كنتَ مارداً
وباباً، فما خَزْنٌ ومـا فَضٌّ أَقفـال؟

*

سلامٌ على الغزَّارةِ احمَـرَّ وجهُهـــا
ولكـنْ كمـا الـوردُ الوديـــعُ بإِدلال،

أَقولُ: آنزِلي، يا بعلبكُّ، آنزِلي معي
آلزمانَ خططناهُ كما الوردُ في البال !

ومنّا الذي تاقَتْ الى وجهه العُلى،
ومنّا العُلى فليمَّحِ الطلَلُ البالي.

*

مِن الغيبِ، فوقَ الغيبِ، وَقْعُ حوافرٍ
تطلَّعْ ! حِصانٌ راح يَغوى بخيَّال !!

نَهرُ الذَهَب

حلمتُ وكان الضُّحى لم يُفِقْ
بأنَّ وسادَكِ زندي القِلق،

وفوقَ محيَّايَ، شَعْرُكِ نهرٌ
من الذهب المُندري المندفق،

أهِي مرَّةً، ومراراً أُضيع
كما وردةٌ في العبير العَبِق.

هُويناكَ، يا حلمُ، هذا المساءَ،
ستقسو، وبعدَ غد، ستَرِق...

أنا مَرَّ أسبوعُ عمرٍ ولمّا
أَمُرَّ بدارتها أسترق

إلى حُسنها، قُلْتَني بُلْبُلَ الأَيك
شرَّدَهُ عندليبٌ نزق،

تَجيءُ الفَراشاتُ مُحلولياتٍ
الى حِيف شُبَّاكيَ المنغلق،

فأَغمزهن: أَمِنْها ارتزقْتُنَّ ؟
بَشِّرْنَني أَنني مُرتزق...

فراشاتُ، أَيٌّ تَمُرُّ بِشَعْرٍ
وليست تَودُّ به تحترق ؟

أنا ليتني كنتُ في السِّرب ! كنت
تأنَّيت عندَ البياض اليقق...

وما لامست أنملي ذلكَ النحر،
كلّا ولا الناهِدَ المنطلق...

ولكنني كنت مُتُّ بعينين،
خَمْرُ السماءِ إذا يندلق...

كلامي على ربِّ الكلام

كلامي على ربِّ الكلام هَوىً صَعْبُ،
تهيَّبتُ ! إلاَّ أنَّني السيفُ لم يَنبُ.

ورُبَّ جمالٍ رُحتَ تَرسُمُ طيفَه
تصبَّاكَ كالسيفِ استجاب له الضَّرب،

---

* في احتفال بعلبك بعاشوراء.

وما لُغةُ الأَقلامِ من لُغةِ القنا ؟
اثنتان؟ سأَلتُ الحُسْنَ: ما الجَفْنُ؟ ما الهُدْبُ؟

لَيَطْرَبُ لا إلاَّ لغزَّارةٍ جرت
كما الفَرَسُ الدَّهماءُ طَيَّبَها النهب،

إذا صَهلت غِبَّ التَّلاحُم ردَّها
أخو مِرَّةٍ في الدَّوِّ من وقْعِه رُعْب،

يَذود عن الذِّمَّات ليس يُبيحها،
بِه الشرْقُ مَدَّ الصوتَ فالتفت الغَرب.

*

حببتُ عليًّا مُذ حببتُ شمائلي،
لَهُ اللُّغتانِ : القولُ يَشمَخُ والعَضْب،

بِهذاك يُعليها، بهذا يَزيدُها
أَيكبو ؟ ولكنَّ الأَصائلَ لا تكبو !

لَأشرفُ مَن قاسى، وأَسمَحُ من سَخى،
تقول على رَملِ البوادي له حَذْب.

بَلاغتُه الليلاءُ أُسُّ أريكةٍ
فكيفَ بما أَبلى الذي وثبُهُ الوثب ؟

*

وهَل، يا تُرى، هل قادِرٌ خَنْجَرٌ على
حبيبِ فِرِنْدٍ ؟ بَكِّني وابكِ، يا حُبّ !

تَخيَّلتُهم، أهلَ النهى من أُمَيَّةٍ،
ومَن إنْ عدوٌّ ضِيم واستُصرخوا هَبُّوا،

رَمَوا عند سَمع النعْي شَهْمَ سلاحهم
وقالوا: « لِهذا الشَّهْب نُكِّست الشُّهْب! »

*

تَخيلتُهم يومَ الغدير وقد سما
سماوِيُّهم: « بَلِّغْ ! »، فمُزِّقتِ الحُجْب،

فقال: « أَلا مَن كنتُ مَولاه فَلْيَكُنْ... »
وأكملها. يا طيبَ ما اكتمل الدَّرْب !

وكـانت إماماتٌ وكـانت مَطـارحٌ،
مَحَـطٌّ نُزولِ الله أو يَقْـرُبُ القُـرْب،

ففـي كُلِّ أرضٍ بعـدُ بيتٌ مطـيَّبٌ
على اسمِ الأُولى في الكُتْب ليس لَهُم شَطْب

ومَـن لا يُحِبُّ البـيتَ، سيـفُ عِلِيِّـه
جميـلٌ، وذاكَ النَّهْـجُ كوثَـرُهُ عَذْبُ ؟

كلامٌ كمـا الأَربـابُ في طَيلسانهـا،
أَلا فَلْتَداوَلْـهُ وتَرتـعشِ الكُـتْبُ !

سائليني

سائليني حين عطَّرتُ السَّلامْ:
كيف غارَ الوردُ واعتلَّ الخَزامْ،

وأنا لو رُحتُ أسترضي الشذا
لانثنى لُبنانُ عِطراً، يا شآم!

ضِفَّتاكِ ارتاحتا في خاطِري،
واحتمى طيرُكِ في الظَّنِّ وحام.

نَقْلَـــةٌ في الزَّهـــر أم عَنْدَلَــــةٌ
أنتِ في الصَّحْوِ وتصفيـقُ يمـــام ؟

أنـــا إن أودعْتُ شِعـــري سكــــرةً
كنتِ أنتِ السكبَ أو كنتِ المُدام.

*

رُدَّ لي من صَبوتـــــي، يا بَرَدى،
ذكريــــاتٍ زُرنَ في لَيَّــــا قَوام،

ليلـــةَ ارتـــاح لنـــا الحَـــوْرُ فلا
غُصُنٌ إلاّ شَجٍ أو مُستهـــــــام،

وتَهـــــاوى الضوءُ إلاّ نَجمــــــةً
سَهِـــرَت تُطفِـــي أُوامــــاً بِأُوام،

سألتنــــــي مِن دلالٍ قُبلـــــــةً
يُعصَرُ الدَّهـــرُ بِهـــا كأْسَ غَرام،

وارتَمت يَكْسِرُ مِن هُدْبٍ لها
مُسهَبِ الطُّولِ حياءٌ واحتشام،

وَجِعَت صَفصافةٌ مِن حُسنها
وعرى أغصانَها الخُضْرَ سَقام،

فحَسَرتُ الشَّعر عَن جَبهتها
أسأَلُ الحُسْنَ أفي الأرض أقام ؟

وتَأَنَّيتُ أُمَلِّي خاطري
قَبل أن يحجُبَها ضَمُّ الهُيام،

أو لِخَوفٍ بي على ثانيَةٍ
سَوف تمضي فمُنى العُمر حُطام،

لم تَدَعْ لي شقوةً أحيا بها
ورَنَت يَملأُ عينيها ابتسام،

أومأتْ لي... فامَّحى كُلُّ سنىً
مرهِقٍ، غيرَ فمٍ عذبِ المَلام،

وإذا قُبْلتُنا فَرٌّ إلى
عالَمٍ أبهى وسُكْنى في مَنام.

تَقِفُ النَّجمةُ عن دورتها
عند ثغرَينِ ويَنهارُ الظلام.

*

طَوِّفي بي، ذِكرياتي، طَلْقَةً
واغنمي أطيابَ ذيَّاكَ الوِئام،

وآمْرَحي بينَ دمشقٍ وحِمى
تلكُمُ الصفحةِ مِن رِفعةِ هام،

خَطَّها صِيدٌ أُباةٌ غَصَبوا
حَقَّهم، والحَقُّ غَصْبٌ أو حِمام،

غالَبـــوا السَّيـــف عريقــــاً حَدُّهُ
فانثنى السيـفُ وفـي الحَـدِّ احتــرام.

هذه « الغوطَـــةُ » أَوفــــى تُربـــةً
بهـمُ أَمْ جبـل « النَّـــبْكِ » القُــدام ؟

كَم فتــــىً بات فراشاً سرجُـــــهُ
نامَ والكَـفُّ علــى سَيــر اللِّجــام !

وفتـــــاةٍ خَلـــعتْ أُسوارَهــــــا
تَشتـري حَلْياً لهـــا غَيــرَ كَهــام[1] !

وشجــــاعٍ لم يَسَعْــــه عُمــــرُهُ
راحَ يحيـا سَعَةَ المــوتِ الــزُّؤام !

---

[1] من كَهَمَ السيفُ أي كَلَّ.

أُسُدَ الثَّــــورة ! وُسُدتُـــــم ثرىً
هو مِن مَشرِقِنـا الأَرضُ الحَــرام،

طَيِّبَتــــه من جَنــوبِ نَفحــــةٌ
عَبــقَتْ مِن ضارِبٍ في الأُفْق، سام،

جَبَــلٌ[1] يجمــــع في أَصلابـــــه
دَعــةَ السَّفــح الـــى عِزِّ السَّنــام،

التُّرابــــاتُ به أَهْـــلُ وفــــاً
ومِـحَكٌّ يَزِنُ الحُـــرَّ الهُمـــام،

ولـــه أَهلـــونَ إن يَنْتَسِبـــوا
يَشمَـخِ الرُّمْـحُ ويَعْتَـزَّ الـحُسام.

---

١) جبل الدروز.

قُلْ لِذاكَ اللَّيثِ[1] في آجامِه:
واحِدٌ نحن إذا الشامُ تُضام،

سائِلِ الأَبطالَ: هل تُنسى لنا
رِفْقَةُ الأَخذ بأَغراضٍ جِسام ؟

ولَظى الحِرمانِ مِن أَهلٍ ومِن
غَفوةٍ قَمراءَ في تلكَ الخيام ؟

والْتقاءُ الموتِ ضَنًّا بِعلًى
وأَحايينَ اشتياقاً لاقتحام ؟

حُرُماتٌ بيننا أَنقى سنًى
من ذُرى الحَرْمونِ أَو طُهْرِ الغَمام،

---

١) سلطان الأطرش، قائد ثورة ١٩٢٥.

قد سَقينا بالدم المَجْدَ معاً
ومعاً خضنا المجالاتِ الكِرام،

وعَهِدْتُ السيفَ في سلطانه
ناصِعَ الإفرندِ لم يَذْمُمْهُ ذام،

شيمةَ الليث انثنى مُدَّخِراً
صولةَ الضاري ليومٍ ذي جَهام.

*

يا سفينَ المجدِ، ردّي ما انطوى
واقحمي الأمواجَ حين البحرُ طام.

يُسْلِسُ الدَّهرُ قِياداً للذي
يتحدَّاه سهاماً بسهام.

جَدِّدي ما وسِعَ الهَدْمُ فما
بسوى الهَدْم لِبانينَ اعتصام،

وأَلَفِي المَرَّ بسطحيِّ المُنى
ليس يُرضي النَّسْرَ ما يُرضي الهَوام،

العبودِيَّاتُ مثْنى عندنا:
في الحِمَى غازٍ وفي العقل قَتام،

تِلْكُمُ دالَت وهذي لم تَزَلْ
سُوسَةً تَبْري فَتَفْتَتُّ العِظام.

آهِ! مَن لي بغدٍ أدنى الى
سَلسَلِ الحُلْمِ وأَبهى من مرام؟

تطأُ الشامُ به مُختالَةً
ساحةَ المجهول أو شأْوَ الأمام،

الحضاراتُ هُنا منبِتُها
شُدَّتِ الدُّنيا الى هٰذي الأكام.

*

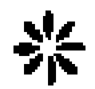
ظَمِـئَ الشرقُ، فيـا شامُ اسكُبِـي
واملأي الكـأسَ له حتى الجَمـام !

أهـلُكِ التاريـخُ من فَضْلتهـم،
ذكْرُهُـم في عُرْوةِ الدَّهـرِ وِسام.

أمويُّـون فإن ضِقْتِ بِهِـم
ألحَقُـوا الدُّنيـا ببستـان هشام.

أيُّ رأيٍ [1] أنتِ ما نشَّأْتِهِ
توأمَ السَّيـفِ لِفَصْلٍ واحتكـام !

خلبَ الدُّنيا بمـا افتَنَّ، اهتِفـي:
كبُـرَ المرمـيُّ يومَ الحـقُّ رام.



---

1) فارس الخوري.

تَمتــم المَجــدُ وناغــى حُلمَــهُ
فوق كفَّــيكِ إذِ المجـــدُ غُلام،

وهـو حُلْــمٌ لو درَوا أيــن انتهــى
لأتتكِ الأَرض حجًّــا لمقــــام.

يا طريقــــــاً من دمشقٍ لم يزلْ
لفتــةَ الدنيــا وإجــلالَ العِظــــام،

بَيْــن تَخْمَــيكَ تَجلَّــى للنُّهــى
مَطْلِــعُ الحـــقِّ وتعليــمُ السلام،

فإذا جُدِّلَ عن مُهرتِــــــــــهِ
شاولٌ وانــكبَّ في ذاكَ الرَّغــــام،

رُحْتَ تَلقــى مَصرَعَ العقــــل اذا
كانَ للعقــل معَ الحَــقِّ اصطــدام

*

شامُ، يا دارةَ نيسانَ، سقَت
مرجَلكِ الخيراتُ في الغيثِ السَّجام!

عِشتُ يَغنى بِك شوقي كلما
زُرتُ، والزَّورةُ شوقٌ مستدام،

فكأني شارِبٌ ليس يعي
خوْفَةَ القائلِ: خُذْ آخرَ جام!

وتؤاسيني، إذا حَمَّلتِها
منكِ شيئاً، مَشرِقيّاتُ النِّسام.

لكِ قال الحُسْنُ مذ هِمتِ به،
ذات صبحٍ، ونَضا عنه اللِّثام:

من أنا؟ أُغنيَّةٌ لم تكتمِلْ،
رُصِدت... الا اذا كنتِ الخِتام،

وأقاحِـــيُّ نَمَت في « دُمَّــــرٍ »
أَوَّلَ الدَّهــر ومــاتت في الفِطـــام،

فإذا عادَت حيـــــاةً طَفِـــــقَت،
من حَنيـــنٍ، تَجِــدُ الدُّنيـــا شآم.

*

أنـــا لستُ الغَـــرِدَ الفَـــرْدَ، إذا
قال طابَ الجَرْحُ في شجو الحمـام.

أنـــا حَسبـي أنَنـــي مِن جَبَـــلٍ
هو بيـــــــن اللهِ والأَرضِ كلام.

قِمَـــمٌ كالشمس في قِسْمَتِهــــــا
تَلِـــدُ النُّـــور وتُعْطيـــهِ الأَنام.

غنّيتُ مكّةَ

غنّيتُ مكّـةَ أهلَهـا الصيِّـــدا،
والعيـدُ يمـلأُ أضلعـي عيـــدا.

فَرِحوا، فلألأَ، تحت كلِّ سَماً،
بيتٌ على بيتِ الهُـدى زيـدا.

وعلى آسم ربِّ العالَميـنَ علا
بُنيانُهـــم كالشُّهبِ ممـــدوداً.

يا قارئَ القُرْآنِ صلِّ لهم،
أهلي، هناكَ، وطيِّبِ البيدا.

*

مَن راكعٌ ويداهُ آنستا
أنْ ليس يبقى البابُ مرصوداً.

أنا أينَما صلَّى الأنامُ رأتْ
عيني السَّماءَ تفتَّحتْ جُودا.

لو رملةٌ هتفتْ بمبدِعِها
شَجْواً لكنتُ لشجوِها عُودا.

ضجَّ الحجيجُ هناكَ فاشتبِكي
بِفمي هُنا يا وُرْقُ تغريدا.

وأعِزَّ، ربِّي، الناسَ كلَّهُمُ
بِيضاً فلا فرَّقْتَ أو سودا:

لا قفـــرةٌ إلا وتُخصِبُهـــــا،
إلاَّ ويُعطى العِطـرَ، لا عودا.

الأرضُ، ربِّـي، وردةٌ وُعِــدتْ
بكَ أنتَ تقطِفُ، فاروِ موعودا.

وجمالُ وجهِكَ لا يزالُ رَجـاً
يُرجى، وكُـــلُّ سِواهُ مردوداً.



نَسَمَتْ من صَوب سوريّا الجَنوبُ،
قلتُ: هلَّ المشتهى، وافى الحبيبُ،

أشقرٌ، أجملُ ما شعَّت الشمسُ
أو طيَّرتِ الريــحُ اللَّعـــوب،

شَعَـــرٌ أُغنيَّـــةٌ قلبـــي لَهُ،
وجبينٌ كالسَّنى عالٍ رحيب.

أنـا إن ساءَلتُ: أيُّ مضَنّـي ؟
قالَتِ القامَةُ: حُبِّيك عجـيب !

مثلَما السهلُ حبيبي ينـدري...
مثلَمـا القِمَّـةُ يعلـو ويغـيب...

وبــــه مِن بَرَدى تَدفاقُــــهُ،
ومِن الحَرْمونِ إشراقٌ وطيب.

ويحَــهُ ذاتَ تلاقينـــا علـــى
سُنْدُسِ الغوطةِ والدنيا غُروب،

قال لي أشيــاءَ لا أعرِفُهـــا
كالعصافيـرِ ثُنائي وتَـــؤوب،

هو سَمّانـــي أنـــا أُغنيَّـــةً
ليتَ يدري أنَّه العودُ الطَّروب.

من بلادٍ سكـــرةٍ قال، لهـــا
تُرْبَـةٌ نايٌ ونَهْـــرٌ عندلـــيب.

ويطيب الحُبُّ في تلك الرُّبى
مثلما السيفُ إذا مُسَّتْ يطيب.

شَامُ يا ذا السيفُ

شامُ، يا ذا السيفُ لم يَغِبِ،
يا كلامَ المجدِ في الكُتُبِ!

قبلَكِ التاريخُ في ظُلْمةٍ،
بعدكِ استولى على الشُّهُبِ.

سَكرةٌ يومُكِ، ما الكأسُ
بالكأسِ دُقَّتْ؟ ما ابنةُ العِنبِ؟

لي ربيــــعٌ فيكِ خبَّأْتُــــه
ملءَ دنيــا قلبــيَ التَّــعِب،

يومَ عيناهــا بساطُ السمــا،
والرمـاحُ السُّودُ في الهُــدُب،

تَلْتوي خصراً فأُومــي الــى
نغمـةِ النــاي: ألا انتحِبــي!

أنــا في ظلِّكِ، يا هُدْبَهــا،
أحسبُ الأنجُــمَ في لُعَبــي.

*

طابتِ الذكرى، فمَن راجعٌ
بي كما العودُ الى الطَّرَبِ؟

شامُ، أهلــوكِ إذا هُمْ علــى
نُوَبٍ قلبــي علــى نُوَب،

أنـــا أَحبابـيَ شِعــري لَهُــمْ
مثلمـا سيفـي وسيــفُ أَبـــي.

*

أنـا صوتـــي منكَ، يا بردى،
مثلمــــا نبــعُكَ مِن سُحُبـــي.

ثَلْـجُ حَرْمــونَ غذانــا معــاً،
شامخـاً كالعِــزِّ في القُـــبب.

وحَــدَ الدنيــا غداً جبـــــلٌ
لاعبٌ بالريــحِ والحِــقب!

مُرَّ بي

مُرَّ بي، يا واعِداً وعَداً،
مثلما النسمةُ من بَردى،

تحمِلُ العمرَ، تُبدِّدُه،
آهِ ما أطيبَهُ بَدَدَا!

رُبَّ أرضٍ من شذاً وندىً
وجِراحاتٍ بقلب عِدى

سكتتْ يوماً، فهل سكتت ؟
أجملُ التاريـــخِ كان غَدا !

واعِدي، لا كنتَ من غضبٍ،
أعرِفُ الحبَّ سنىً وهُدى،

الهــوى لَحْـــظُ شآميـــةٍ
رقَّ حتـــى قلتَـــه نفـــدا،

هكذا السيفُ ! ألا انغمدت
ضربةٌ والسيفُ ما انغمـــدا.

واعِــدي، الشمسُ لنـــا كُرَةٌ،
إنْ يدٌ تتـــعبْ فنـــادِ يدا...

أنـا حُبّـــي دمعـــةٌ هجَـــرتْ
إنْ تَعُـدْ لي أشعلتْ بَردى...

مَن شَاعِر

لا مُذْ بكيتُكَ، لكِنْ قبلُ مُذ سكَتَتْ
يراعــةٌ لك، قَلَّ الهَــمُّ في الــغُصُنِ،

غَصصتُ بالدَّمـع، هَل فرَّت بلابلُنــا
طُرًّا، فما مِن شجِيٍّ بعدُ أَو لَسِنِ ؟

• في ذكرى الاخطل الصغير.

أَنا الذي قال: يا شِعرُ، ابكِهِ وأَجِدْ
من قبلِ ما كان لا، يا شِعْرُ، لم تَكُنِ !

*

مِنَ الينابيعِ، من عينَيَّ صوتُكَ، مِن
ضَوْعِ البنفسج أَضلاعٌ له وحِنِي،

سِرُّ الرَّنين، وهل إلاَّكَ يَفضَحُهُ ؟
يا ناقِرَ العود مِنه العودُ في شَجَنِ !

والكونُ قُلْهُ رنينَ الشِّعر، قُلْهُ صدىً
لِكَفِّ رَبِّكَ إذ طَنَّت على الزمنِ.

ما العمرُ ؟ ما نحنُ ؟ ما هذي التي كتبتْ
قوسَ الغمام وغُنْجَ الزنبقِ الغَرِنِ ؟

تَشظِّياتُ نجومٍ عن يدٍ فَجَرَتْ
حُبَيبةَ الشيء، وجهُ الله مِنه دُني.

فنحنُ هٰذون، لمّا نبْقَ في سَفَـر،
علـى الرَّنيـن، نجومـاً رُحَّـلَ السُّفُـنِ.

*

حَبَبْتُ فيك البليـلَ الـبَـثَّ لا يَبِساً،
لليل غنَّى وغَنَّوْا للضُّحى الـخَشِنِ...

مَنْ لا يَضِجَّ، ويُـبْـقِ الآهَ سيِّـدةً
على الكلام، يُؤاخِ الطَّيرَ في الفَنَنِ،

نَسْجُ التنَهُّـدِ، لكـن لا يُهَلْهِلُـهُ
سَهْلٌ، ففي خيطِهِ من شَمْخَةِ القُنَنِ،

ضَوءٌ خُصِصتُ به، بَعْضُ الذي احتَفظت
ببعضِهِ الشمسُ إذ هَلَّت علـى عَدَنِ.

*

قرأْتُ شِعْرَكَ، ما أُمِّي تهدهِدُنـي؟
تَحكي حكايةَ بِنتِ الريح والفَطِنِ...

أحبَّهـا لم تَزل في قلبـه خَبَـراً
ولم يَحِنْ آنُ عينيها... ولم تَحِنِ...

شقـراءُ شقـراءُ قلتَ الصخْـرُ مسكِنُهـا
قد حَدَّثَتْـهُ بهـا عصفـورةُ الـوَسَنِ،

فهَبَّ، إغفـاءَةُ العينيـن تُسكـرُه،
يقول: لا تَقْوَ، يا حُلْمي، ولا تَهِنِ،

إبْـقَ الـذي أنتَ! لا أبهـى لِمبتهـجٍ
من السعـادةِ لم تَخشَنْ ولـم تَلِـنِ.

وقـال: هَل هيَ ما قالت مُحدِّثتـي،
ومـا تمايَـلَ بيـن السِّرِّ والعلـنِ؟

خطـوطُ قامتهـا في الكُتْبِ ما قُرِئَتْ
لكنهـا اشتَعـلَتْ في بالِ مُفتَتِـنِ.

فِي ظِلِّ مجدولتَيها العمرُ... في فَمِها
شَطرانِ للقَمرِ العالي على الدُّجَنِ.

سَجينَةُ الصخرِ، هل إلا غلائلُها
سِجْنُ الجمالِ؟... ألا، يا ريشتي، انسَجِني،

لعلَّ أن تُلهميني كيفَ أبلُغُها،
وكيفَ أختطِفُها من قَبْضَةِ الحُسُنِ،

أَشُجُّ صَخْراً، أُري الازميلَ ما لُعَبي،
أُعيي الصُعوباتِ، أُغري عُقدَةَ السَّننِ،

حتَّى إذا التمعت غُراً ملامحُها
هَتَفْتُ أجزَعُ: لا حُطِّمْتِ، يا وثني...

ما أفتنَ الأَخذَ من شَدْقِ الرَّدى، ويدٌ
تَهُمُّ بالخَلْقِ، تَرمي الروحَ في البَدَنِ!

ولا علَيَّ أقولُ... آشتَدَّ يا ظُفُري
حَطِّمْ وخُطَّ الغِوَى، صُنْها ولا تَصُنِ...

غامرتَ ؟ أكمِل. للك الكاساتُ، أطيبُها
ما قيل سُمًّا ولم تَحْفِل ولم تزنِ .

وكان أن نالها ذيّالِكَ الفَطِنُ
الكسَّارُ للجَلْمَدِ، اللَّعَّابُ بالسُّنَنِ !...

عروسُهُ هي وافَتْ أم قصيدتُهُ ؟
فَدَيتُ أُمِّي نَضَت سِتراً ولم تُبِنِ !

*

مَن شاعِرٌ ؟ مَن تَظَلُّ الريحُ دارَتَهُ
ترمي بأبراجِها في الأُفْق لم تُشَنِ،

حجارُها شَرَفٌ ! فاسمَعْ تنفُّسَها
بالنُبْل، قلتَ: بِهِ قَبْلَ الجَمال عُني.

أَكيدةً مِن هنا، مِن مقلَعٍ وقَعَتْ
عليه ريًّا غصونِ الأرزة اللُّدُنِ.

أَللهِ نحن! أَما نحيا لأُغنيةٍ،
نَشوى بها لفتَةُ العُقبانِ في الوُكُنِ؟

إن شدَّنا البحرُ لا ملآنَ بعدُ بنا
نُفْرِغْهُ منه أنِ آسكُنْ أَو بنا آنسَكِنِ!

جِبالُنا هي نحن: الريحُ تضرِبها
نَقوى، وما يُعْطِ قصفُ الرعدِ نَخْتَزِنِ،

عِشنا هنا لا نُهَمُّ، الفَقْرُ مرَّ بنا
ومرَّ مَنْ شِبْرُ أَرضٍ غَرَّهُ ففَني...

لِلفقرِ قلنا: استرِحْ، للمستبدِّ: أَشِحْ،
غداً على الرمل لا يَبقى سِوى الدِّمَنِ،

ويأخُذُ الرفشُ في جَمْعٍ... هنا خُوَذٌ...
هنا أسامي... فادْفِنْ، رفشُ، واندفِنِ...

*

غَنِّين غنِّين، يا كاسات، قُلْنَ له:
ماتت لنا الخَمرُ والعنقودُ في حَزَنِ.

الحُبُّ خَمَّش خدًّا واشتكى وبكى،
واستوحَشَ القَمَرُ الراني فلم يَرِنِ.

تَمُرُّ بالأُذُنِ الآهاتُ تسألُها:
أنحنُ، من بعدِه، الآهاتُ للأُذُنِ ؟

غنّينَ غنّينَ... قُلْنَ: المجدُ في يُتُم،
شِعْرٌ بلا المجدِ راياتٌ بلا وطنِ.

من لِلعُلى ؟ لِلصدارات العُلى ؟... أبداً
تبقى الكرامةُ بين الناسِ في غَبَنِ ؟

غنِّينَ غنِّين... صَوتي ضاع... باتَ صدىً...
كالحِصْنِ دُكَّ وظلَّت هيبةُ الحُصُنِ !

*

إنـي لأُجرَحُ، يا كاساتُ، يا دِيَمـي،
أن يَشمَتَ الموتُ بالباقين كالزَّيَـنِ !

حقاً سيغـدو كدُملـوجٍ بمِعصمهـا
حسناءُ لولاه لم تُشْرِق ولـم تكِن[1] ؟

عَتبتُ ، ربِّي، عليكَ !... الشِّعرُ سَيِّدُهُ
مات ! آأمُـرِ المـوتَ لا يَقْهَـرْ ولا يجن[2] !

أأبـى عليـه أنـا تُبلـي أَصابِعُـهُ
مَن عن أَصابعه السِّحْرُ انجنى فجُنِي.

---

١) يضرب.

غنِّيـنَ غنِّيـن... يا كاساتُ، يذبحُكُنَّ
الشوقُ... غنِّين... إن الشَّوْقَ منه ضُنِي!

ألـــوذُ بالقبـــر ما أدري أأعْرِفُـــه ؟
أما محَتْ نَقْشَتَيْـهِ دَمْعَةُ المُـــزُنِ ؟

أثـورُ ! آخُـذُ بالصُّلبـانِ من غضبٍ،
أردُّهـــنَّ وأغـــوى أسْيُفـــاً وقُنـــي...

يَمُرُّ في خاطري رَهْطُ الرجـال مَضَوْا
ومـا مَضوا تُرَّكـاً لي إرثَ مُؤتمِـنِ،

لِهُهُنـالكَ هُمْ سَيْـــفٌ، أنـــا لِهُنـــا !
أفي بِمجـدٍ وبـي صَرْحُ الوفـاءِ بُنـي.

« رُدِّي جمالَكِ »، يا دنيا، أقـولُ مع
الأبطال[1] ، « غُرِّي سوايَ » اليومَ وآدَّهني!...

---

[1] الكلام للامام علي.

هم يَذْنَقُــون، وهَمِّــي النّــارُ أُشعِلُهــا
مِنْ كِسْرِ عَظمي وإن يَنْفَدْ فمِنْ كَفَني...

ما المالُ ؟... قولـةُ « لا »... واللهِ ألبَسُهُ
بِه غَنِــيتُ وغيــري بِالتُّــرابِ غَنــي.



قرأتَ كتابَ الكـون سطـراً محـا سطـرا،
مُعَلِّـمُ، عُدْ فاكتُبْــهُ أجمــلَ ما يُقــرا !

أصابـعُكَ استـولت علـى العقـلِ فازدهـى
تُبــاشِرُهُ نَثْــراً فتتركُـــــه شِعــرا...

وتلتَـفِتُ الدنيــا وقــد عُلِّــقت علـــى
فمِ لكَ قال السِّحـرَ أَو أبطل السِّحــرا

لَأَنتَ بِبالِ اللهِ كنتَ، بُعيدَما
رمى الأَرضَ عن كفٍّ وقال: اشتهي أَمرا!

فحارَتْ: كأَنَّ الليلَ ليسَ يلفُّها،
ولا يتغاوى الجهْلُ يَرمقها شزْرا،

فقال: انطِقي، إِمَّا تَلعثمتِ أُقلقت
ببالي أَفازيرٌ وأَعمِدَةٌ سكرى،

مِنَ الطُّرَفِ اللائي سأَخْلُقُ، يومئا
سأَرتاح، والأَفكار تَغمُرني تَتْرى...

أَمرْتُكِ فُكّي عُقدةَ الصمت وابسِمي
لِوجهي، لَقَفْرٌ أَنتِ مُبتلِعٌ قفرا!...

على أَنها الأَرضُ استمرَّتْ عييَّةً،
فَمَدَّ إِليها الخَمْسَ يرسُمُها ثَغْرا،

وراْساً، وبعضاً من خَيـــال أميـــرةٍ،
لها يومَ عدٍّ الحُسن يُؤبـه أو يُدرى،

فمـا هِيَ أنْ ضاءَت وغنَّـى جمالُهـــا
لها وروى، حتَّى أُفاقَتْ كَمِنْ ذِكرى،

وشالت برأسٍ صوب عينيـــه قُلتَهـــا
كما ستكون الكأْسُ إذ تمتلي خمرا،

ولامس أُذنَ الله هاتِـــفُ قَلْبهــــــا:
ــ بلى، ربِّ، هانيِ أشتهي القَلَمَ الحرّا،

ألا اخلُقْه، لا كالناس، هُمْ تُربَةٌ رِضىً
تفي، وهو غرَّاسٌ كما يَدُكَ الخَضرا،

عَلِيٌّ جبيـنٍ، حازِمُ اللمـح، أبلَـــجٌ،
يَمُـــــرُّ به نَسْرٌ فَيَعْرِفُـــــهُ نَسرا.

تصوَّرتُـهُ والـرَّوضَ. ما بيــنَ زَهــرِهِ
وضِحْكَـةِ عيـنٍ ؟ إنَّـه الأَمَلُ افتـرَّا...

تصوَّرتُـه والريـحَ. ما بيــن عَصفهـا
وقَطْعٍ بمعنىً ؟ إنه سَلْكُكَ الـدُّرَّا...

تصوَّرتـه والشمسَ. ما بيــن بَزْغِهــا
وهَشَّةِ وجـهٍ؟ إنهـا الصِّلَـةُ الكُبـرى.

*

مُعَلِّــمُ، لُمَّ الزقزقـــاتِ وحُطَّهــــا
على فمِ طفلٍ شِئْتَـهُ النَّقْلَ والكَـرَّا.

بِمـلْءِ جَناح لم يَطِرْ، إنمــا رنــا
إلـيكَ، فأَعـدَدْتَ انطلاقتَــهُ الحَــرَّى،

وشِئْتَ له أَنْ يَستعيــرَ شموخَــــه
من الأَرز غَنَّــاهُ الزمـــانُ إذا مَرَّا،

وشِئتَ لَه أَن يَجْبَهَ السيفَ بالُهُ
فيدركَ أَن البالَ يَفري ولا يُفرى.

*

مَن العلّمونا ؟ مَن يكونون عزمةً
وقرعاً لبابِ المستحيل خَفى السِّرّا ؟

رياحٌ ! بلى، هم كالرياح مهابةً،
على أوجُه الأَخّاذ قد حُفِروا حفرا،

وتُعطيك عينٌ منهُمُ قلتَها يداً،
وتُعطيك تُعطي بسمةٌ ما التَوتْ صَفْرا،

بِها مِن محيًّا الوالِد الصَّعْبِ لَهْفَةٌ
تُهيبُ أَن ِ اقطِفْني ولا قطفَكَ الزَّهْرا !

ويُعطيك نُطْقٌ حامِلُ العِلْم ما انتهى،
ومُبتدِعُ الأَفكار فجّرها غَمْرا...

وتعطيك، إن تُشْلَحْ على اللوحِ، أنملٌ
وتَكتبُ ما الدُّنيا... وتكتُبُ ما الأُخرى...

خواطرُ قُلْهُنَّ الـخصورَ تَمايَلَتْ،
وقُلْهُنَّ صار الحُسنُ مُنْحَبِساً قسرا.

*

سألتُ الأُولى خَلف القُرى، فَوقُ، علَّموا
تقيهم نَداها، السنديانةُ، والحَرّا:

تُرى ثانويونَ الذين احتضنتُمُ؟
تعالَوا نَقُصَّ المجدَ، نستلفتِ الدهرا!

أَفِقْ من كَرىً، زينونَ صيدا، قُلِ اسمَه
مُتَلْمَذَكَ المُضْفي على رومةٍ قَدْرا!

هُمُ شيشرونٌ، عندهم، ربُّ قولهم
وعندك، طفلٌ يحفَظُ اللفظةَ البِكْرا.

أَفِقْ من كرىً، لِيبانيوسُ، ارمِهِم به
فمـاً ذهبيًّـا أَنتَ نشْأَتَـهُ صَقْـرا،

فبـــات إذا ما وَزَّعَ اللهُ طاولتْ
تجوعُ إلى فيهِ العصافيرُ أَو تَعرى...

أَفِقْ من كرىً، مكسيمَ صورٍ، ورُدَّنا
إلى مركُريلِ السيفِ فتَّته فِكـرا،

فلم تبقَ أَرضٌ لم تَهِمْ بخواطـرٍ
له، قلتَها الإِنجيلَ أَو شِعرَه نثرا...

أَفِقْ وآغوَ منها، أَنطباطِـرُ، هَتفـةً
لكاتونَ طارت فهي هتفتُنا الحَمرا:

«لَأَمَّا تَمُتْ حُرِّيَّتي لا أَعشْ أَنـا»
وفي الصدرِ شكٌّ السيفَ شرَّفه صدرا.

*

معي من نشيد المجد، قيثارتي، معي...
نَمُـرُّ بدار العمـر حيث قضى شطـرا،

ونسمعُ مَنْ غنَّته: « طِبْ، يا حَمامُ، طب
وهوِّمْ لمن منهم سيجتـرعُ المُـرَّا... »

هُمُ لهـــــمُ، أَواهِ ! آنٌ يُذيبهـــــم
ضنـىً، وهْـوَ آنـاتٌ لَتَهْـدُرُهُ هدرا...

حَمامُ، هُمُ اكذُبْهُم، هو اصدُقْه، إنـه
سيعرِفُ أن يشقى، سيعرِفُ أن يُغرى...

حَمـــامُ، وثلِّثْـــه له الدمـــعَ طيِّبـــاً
كما ابنةُ كرمٍ في الجبالِ اكتوتْ جمرا،

فمَـــن غيـــرُه يدري بأنَّ حياتَـــه
ينابيـــعُ حِرْمـــانٍ ويقصدَهـــا يَمْـــرا

فإمَّـا قَسَتْ بالنــاس داوَرَهــا يداً
وإمَّـا بدت أقسى به الشمسَ العُـذْرا.

ويا طيرُ، يا طيرَ الحَمامِ، افتتِن بهم
بَنِيَّ الرِّضى، أمّا به فافتِـنِ العَصْرا!

هل العصرُ إلاَّ ما استطـارَ معلِّـمٌ
من الشَّررِ النَّزَّالِ في الهِممِ النَّصْرا؟

إذا القـدَرُ الأَعمـى تطـاولَ ردَّه
ومِن خلفِهِ النَسْرُ الأَبيُّ مشى نهـرا!

وتمضي تُغنِّي، ناسَ قِنديلُهـا ولـم
تزلْ تشتـري مجداً وتـرفضُه خُسْرا،

تُغنِّي وقد طارَ الحَمام ولـم يعُـدْ
لِقصَّتِهـا إلاَّ تأوُّهُهـا جَهْـرا.

أُغنية الحَجر

كالهِنـد سرُّ الهنـدِ أَنتَ، وكالنُّهـى
أَوَتنتهي ؟ وإِلـيكَ كان المُنتهـى !

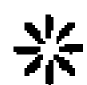
ماذا ! وتَنهـزِم السيـوفُ كسيـرةً
ما نحن، تساءَلْ، ما الحَضيضُ مِن السُّهى؟

* في يوم نهرو.

أَدَّبتهـا تلك السيـوفَ، فصُنتَهـا
عما تَبـذَّل، يوم يَصطـرعُ البَهـا.

كالهِند أَنتَ! لقد جمعتَ كتابَها،
سِفْراً سيُقرأُ لا آستُذِلَّ ولا صَهـا[1]،

عالٍ، ومِ الثلـج البَتـول بيـاضُه
أَوْ مِ الحمالايا وهاتيـكَ الصُّهـى[2].



أُكملتَها النفسَ الكبيـرةَ[3] لم تَكُـنْ
ظِلاًّ ولـو للشمس تَبـرأُ من كَهـى[4].

---

١) أصيب بجرح.
٢) الأبراج في أعالي الجبال.
٣) المهاتما.
٤) كلف.

أوْدعتَ ما في كُلِّ بالٍ من هوىً
وبكل ما يُرجى، جُبِلْتَ، ويُكْتَهى[1].

وَحَدٌ كما رُئيَ المَلاكُ رُؤىً، ومِن
طِيب البساطة أينَ سُلطانُ الدَّها؟

*

ضُربت على الشُّعَفِ[2] العمالِقُ حكمةً
هامت، كما الدنيا، تسائِلُ مَن لها؟

بالرَّعد لاذت، بالرياح، وبالصَّبا
من أدهُرٍ، وتشبَّثت بالمُزدهى،

حتى إذا بَصُرَتْ بصدرك أفْيحاً
ولَجَتْهُ فِردوساً لها... أو شُبِّها...

---

١) يجلّ.
٢) القمم.

أفــأَنتَ من لُبنــانَ نسجُ غمامــــةٍ
أَو صوتُهــا، تلك المكوكِبَــةُ اللَّها ؟

أَو سكـــرةُ الازميــــلِ نُزِّل مُفْــرَداً،
في بعلبكَّ، علـى يَدَيْ رَبٍّ سهـا ؟

أَنـا بعلـبكٌّ لي... ولـي هنـدُ المـــلَا
أُغرودتــا بالٍ إذا الوتـــرُ اشتهــى:

أُغنيَّـةُ الحجـر استفـاقَ الـى العلـــى،
أُغنيَّـــةُ الشَّعبِ استقــــام فنُزِّهــــا،

تلك السُّمُوُّ وهـذه الرِّفْـــقُ اعتبِـــرْ،
يا خاطـري، ورِدِ الجمــالَ تألَّهــا !

هَنَّا خَصَرْنـا الصخـر أَعمـدةً، علـى
إفريزهــا انتحـــرَ الزمـــانُ مُوَلَّهــا،

وهنـاكَ قدُّوا النـفسَ كَونـــاً مُفعمـــاً
باللهِ أروعَ ما أبـــاح ومــا نهـــى.

هَنَّـــا الضيـــاءُ مجمَّـــداً ومُقدَّمـــاً
للشمس إنْ شحّت، لِقلبكَ إنْ وهى،

يُعطـــي ويَرفَـــعُ، ما يدٌ إن قَلَّـــدَت
أُختـاً لهـا ؟ طابَ التَّفَـرُّدُ مَجبَهـــا !

ولَأعْمُـدٌ ينـــهضن، يحملـــن السمـــا
بِدَعُ الجَهالـــةِ هُنَّ أو بِدَعُ النُّهـــى.

وجنـــونُ ربِّك فوقَ عَقْـــلِ عبـــاده
إلاَّ الأُولـى جَعلـوا الحجـارةَ نُبَّهـا...

وهنـــاك أجنحـــةُ السلام تَخُطُّهـــــا
في الأُفْقِ أقـــلامٌ تَرَفَّـــعُ عن جَهـــا[1]

---

١) خراب.

مِن بعضِهـــا كان البيـــاضُ، وقبلُهـــا
والبَعـدُ حاضرُهـا تَشعَّـــعَ أوجُهـــا...

قالـت صفـاءَ القـلب، وسوسةَ الحِلـى،
لحـظَ الأُميمـاتِ النواظِـرِ مِن رَهـــا[1]،

وكأنمـــا الأنهـــارُ مِن بَشَرٍ ومِـــن
صوتٍ ومن موتٍ... هي الزمن التهى!

*

أُغنيَّتـــان! الهنـــدُ، سينـــاءُ السلام،
وبعلبكُّ، لُقـى الجمـال مجهجِهـــا!

هاتـــيكَ قد خَسِرَتْ يديك، وهـــذه
أنَّـى لها إلهـــامُ أعمـــىً أكمهـــا؟

---

(١) سعة.

مَن قلَّدَ البلدَ الكبيرَ كَراصِفِ
الحُسْنِ الكبير! كلاهما لن يُكنها!

*

يا هائماً خَلَلَ الوجود، ألا اشتَعِلْ
في المُعوزين كما الزهورُ، كما الزُّها.

إحدى تعودُ الأُغنياتُ كما الهوى
في القلب إنْ صَدَّرٌ إلى صدرٍ شَها.

كالهِند سرُّ الهِندِ أنتَ، وكالنُّهى
أوَتنتهي؟ وإليكَ كان المنتهى!

مَلِكٌ لكَ العصرُ

ما الموتُ ؟ شمخةُ رأسٍ منكَ تُفتقَدُ
واسلَمْ بباقة شِعرٍ، عِطْرُها الأبدُ !

مَهابَةُ الأرز، بنتُ الفارسيِّ، أنا
نَبكيكَ، فلتتغاوَ الستَّةُ العُمُدُ.

* انشدت في يومي خليل مطران ببعلبك.

ومَـن تُرى قال: ليستْ سَبعـةً ؟ أنـذا
عَينِـي إلـيكَ، ألا فلْيَكْمُــلِ العَــدد.

سِواكَ في الشِّعر فلتَدمَـعْ عليـه رُبـىً،
وأنت فَلتُجـرَحِ الغَيمـاتُ والجَلــد.

مُلْكٌ لك العصرُ، ذاكَ القَصْرُ تَرصُفُـه
ذكـراك. رُبَّـةَ أمسٍ ضَجَّ فيــه غَدُ.

كأنني بِكَ، يوم انـزحتَ عن جبـلٍ،
تنزاحُ رَدَّتْكَ صوبَ الخالديــن يد !

والخالـدون هُمُ البُدَّاع، من بَعُــدوا،
حتـى إذا لحِـقت دنيـا بهـم بَعُـدوا.

عانيـتَ، عانيتهـا الجُلّـى، كمــا لُعَبٌ
للــكَسْر قد أمَّلوهــا أنَّكَ الولَـــد.

وآنَ رُحْتَ تغنّيهـا سَمـوتَ بهـا،
كَذا يَمَسُّ الخريفَ الطائـرُ الغَـرِد.

لأنت والفكـرُ هَمُّ الله هَمُّكُمـا،
والآخرونَ بيـال الله ما وردوا..

ماذا تَرَكْتَ خلا الأخلاقَ ؟ لو جَدَثٌ
يَحكي لقال: « السنى في حُفرتي بَدَد ! »

ديوانَ شعرٍ، تُراها الحِكمَةُ انحبست
في دَفَّتَينِ، كما في الغَيمةِ البَرَد ؟

هُنـا الـمساءُ ونيرونِيَّـةٌ، وهنـا
فَتاتُهُ الجبـلُ المحلـولِكُ الحَـرِد.

أُختُ التي بالضنى والآهةِ اتشحت،
وأسبلت أشقـراً بالريـح ينعقـد.

لَهْفي ! أبوها قضى، مَن كان يكفُلُها،
يُتْمُ الحرائــر جُرحٌ ليس يَنضمِــد !

لا هذه سَكتَت، لا تِلكمُ انغمدت
إلاّ إذا مَن غَزَوا أقداسَها انغمــدوا.

ومــرَّةً هٰهُنــا الآبادُ عاصفــةً
بالنفس، قلتَ بسجنٍ قُطّع الزَّرد.

ومَن يَعِشْ فوقُ، عَيْشَ الصَّقْر، وُكْنَتُهُ
على الشّعافاتِ، لا تَستغوِهِ المُلُــدُ.

القولُ لا قال... قال الفعْلُ. فاحتَرزي
يا قامةَ الرمح، أَنتِ الطَّعْنُ لا المَيَد.

غالَيتُ ؟... ما ريشةٌ في الكفّ مُشجِرَةٌ ؟
ما جلمــدٌ جُبّتيرِيٌّ السنــى فَرِد ؟

أيٌّ أداتُك ؟ لو خُيِّـــرتُ قلتُ: « به
كتبتَ، ذاك العمودُ الصامِـدُ الصمـد،

غططتَــه فــي مِـــدادٍ أنْتَ عاصـــرُهُ
مِ الشمس أو مِ الرياحِ الهِيفِ تَتَّقد ! »

مَن كان عُوفِيَ لو أنتَ انضنيتَ ؟ ألا
أهِبْ بأنَّـا قُدامـى الفتـــح والجُـــدُد.

وُحِّدتُمــــا أنتَ في الآساد باكيـــــةً
وبعلـــبكٌّ... كلا فَتَيكمـــــــا أسَد !

تآخـذا، شطـرُ بيتٍ وانهيـــارُ عُلـــىً
مِن باب بانُحسَ كادَتْ بالرَّدى تَفِـد،

تقول: « مَن يَسْمُ بي، حتى لَيَرجِعُني
إلـيَّ، يَشْهَـقْ له مِن ضَوئِـيَ الجَمَـد،

روحٌ له أنا ذي، وليشْقَ فَهْو أنا،
وبعدُ فَلْيَفتَرِقْ عن روحه الجسد ».

وقبلَ أن أُرجِعَتْ، كانت يراعتُك
افتنَّت تلاعبُ من عَلَّوا ومَن عَضَدوا.

وأعنقتْ لَفْظَةٌ حتَّى لماد لها
مادٌ وقال: « انزِلي في النَّهر نبترد

فان وقعتِ على زَندي وجِعتُ أنا
للحسن أَطلبه في حَيثُما أَجد !

أَكون عدتُ هباءَاتٍ فيخلُقني
خَلْقاً، كأنّيَ مما لا أنا أَرِد.

أبهى من البدءِ رَدُّ البدءِ ملعبةً،
فالعَبْ بكونٍ... ودَعْهُمْ يُفْنِهِمْ حَسَدُ... »

* * *

وعَنْـــدلت قافيــاتٌ منكَ، فانتبـــهت
حسناءُ نَقشُ عُلىً، في عُنْقِها صَيَـد.

ــ أَنتِنَّ مَن ؟ قلن: « لا تَجَّاهَلي اذَّكري،
أَمـا لأَنكِ زلفـاءٌ لنـــا سجـــدوا ؟ »

*

خليـلُ، خِلتُ العظيـمَ البعـدُ مُتَّكِـــئٌ
في مقلع العِزّ، مَن لم يَحكِـه أَحـد،

يقـول: « فوقِـيَ فَلْتُنْـقَشْ، فلا حجـــرٌ
سِوايَ أَخْلَقُ بالمجد الذي فقـدوا ! »

*

صديقَ لفتـةِ عُمْـرٍ، قد وعـدتُكَ، لا
أَخلفتُ، لا يُخلف الابطالُ إن وعَدوا.

أَلمعتُ... فاعذِرْ ... فما إلاّ على قلمي
اصطكَّتْ سيوفٌ ولا إلاّ بيَ الحُشُدُ.

مُعلِّمـــي أَنتَ في الحُرِّيَّتيـــن: هوى
العُلى، وعَصْفـــيَ بالثُّـــوّار إن بَرُدوا،

هل كَذَّبوا ؟... قال لبنانٌ أنا... وأَنـا
إمّـا وُجِـدتُ فبـــالأَحرارِ أَنوجـــد !

داوِ شعري

داوِ شعري اليومَ، ها شِعري كئيبُ،
غُصُنٌ شُرِّدَ عنـــــه العندلـــــيبُ.

في همومــــي كان أن تُغـــــرَى به،
عُدْ يَعُـدْ للأَرَجِ الذاكـي هُبـــــوبُ.

* صبيحة بكينا انطون قازان.

لم تكـنْ ريـحَ الشَّمــال اقتَلــعتْ،
لا الدُّجـى يلتـفُّ، لا الهـمَّ ينــوبُ،

كنتَ ما لم يُدْرَ بالـحِسِّ وبالعقـلِ :
رُوحَ الـروحِ ، تُحيــي وتَــذوبُ !

زُرتَها الأَرضَ ؟... أَشكُّ... اختلْ معي
زُرْتَ بيتَ الشِّعرِ، كالبالِ الحبيبُ...

ما غروبُ الشمسِ يُعطــي فكــرةً
عنكَ، بل نكهــــةُ أَنْ ثمَّ غروبُ

في المَــلاكِ اتَّفقــوا أَنْ مفــرَدٌ
شخصُه، لا مثلُهُ في الخمرِ كوبُ.

أَتُــرى من سِربــه أَنتَ ؟ أَجِبْ.
أَوْجَـعُ الأَجراحِ أَنْ لستَ تُجيـبُ !

كلُّ شيءٍ هو في الكـــــون، سوى
اللهِ، مَن ناجت ولـمْ تَدْرِ القلـوبُ !

هو في المابعـــــد، في أُغنيَّـــــةٍ
ربَّمـــا تسكُنهـــا أَنتَ تَطـــــيبُ.

أنـــا إن تجمَــحْ بعـــودي نغمـــةٌ
كنتَ انتَ الأَمرَ بالعـــودِ تُهـــيبُ.

نِصفُ شِعـــري كان كي تقـــرأه،
لا تُباعـدْ أَو هو القَفـــرُ الجـــديبُ.

أَمس ِ، مُذْ دُكَّت قرىً من أَرضنـــا،
زُرتَ بالـي موجَعاً فيـــه اللهـــيبُ،

فاستبـــــــــــدَّت بي ثوان ٍ كُنَّ لي
دقَّ بابٍ، قُلتَنـي الخاطـي يتـــوبُ !

ذاكـــرٌ ليلـــةَ نادينـــــا علـــــى
رؤيتـي للكـونِ والقـولُ صَخـوبُ ؟

رُحتَ تعلينـــــــيَ، حتـــــــى لأَنا
خمرةٌ ضجَّتْ بها الكأْسُ السَّكـوبُ،

وُجُهـاتُ الحـــقّ تهـــوى لفتتـــــي،
قُلتَ وجـــهُ الله تهـــواه الـــدروبُ!

ذاكـــرٌ قـولَـــكَ بـــي منتصـــراً
لجُنـوبٍ أَنَّـــه ثوبـــي الـــقشيبُ؟

أَلـــبَسُ العِـــزَّ إذا أَلـــــبَسُه
« آتِنا » منّـي كمـا منهـا الشحـوبُ،

كان هَمّـــــــــي نبشَ ما في أرضه
مِن ذُرىً راحت عنِ الله تنـــوبُ،

نقـرت صيـــدونُ من بعـــدي أنـــا
وتـــراً قيثـــارُه الكـــونُ المَهـــيبُ،

وتغـــاوت صـــــورُ، لا مملكـــــةٌ
بعـدُ أو قبـــلُ تُدانيـهــا تَلـــــوبُ،

لا على السيفِ انبنتْ، لكنْ على
قولةٍ أنْ ليس في صورَ كَذوبُ،

كلِمـةٌ تُعطَى تَفـي، صِرنـا بهـا
شُركاءَ الأَرضِ نَجْبي ونجوبُ!

وإذا مريـــمُ قانــــا ارتـــــعشت
أنْ أجِبْ، لا في غدٍ، يا مستجيبُ،

وألـــحَّت نبـــرةٌ في صـوتهـــا
بعضُهـا لُبنـانُ أو شيءٌ قريبُ...

قال: يا ساعةُ، فِرّي من غدٍ
هكذا يُطَّلَبُ الوجهُ العَذوبُ[1]

يومَها، فوق ربىً من عندنا،
ظَهَر اللهُ وما عادَ يغيبُ !

الجُنوبُ ؟... اشمَخْ به رأساً رضًى،
كان لبنانُ إذا كانَ الجُنوبُ.

كلُّ هذا قلتَه فِيَّ أَنا ؟
كلُّ هذا أَنتَ إنْ حُقَّ النصيبُ.

ضِعتُ في نُبْلك من تيهٍ كما
في الذي قبَّلَهُ ضاعَ الصَّليبُ !

---

١) الذي ليس بينه وبين السماء ستر.

إنّي وذكراكَ، الكلامُ اليومَ: ما
تَبْغِهِ يُبْغَ وكالسيفِ يطيبُ.

شئتَني أبقى الضميرَ، اشدُدْ يدي
أو أُدمّى وتَهاداني الخُطوبُ.

عِشتَ فُرقانَ الهدى، في حيثُما
كنتَ كان الحقُّ، ما اليومُ العصيبُ؟...

أَلصعوباتُ العُلى أَنتَ لها،
تضرِبُ الضربةَ وُثقى لا تَخيبُ،

بالشَّبا تهجمُ؟ بالصرخةِ؟ لا
إنما باللينِ مرماهُ غريبُ.

مرَّةً تبسِمُ، تُغري المعتدي،
وتهزُّ الرأسَ، أُخرى، فتُريبُ.

لائــذاً بالــسحب تدري أنـــه
وحدَه القوَّةُ إن صابَ المُصيبُ.

يا شقيقَ الدِّيَمِ انهالَت علـى
جبلٍ، فهو بما تهوى خصيبُ،

خارجَ المُمكنِ خُلْقــاً ورضىً،
كنتَ، حتَّى لَيُمَنَّاكَ الوجـوبُ.

لا من الأرضِ ولا من نَبْتِها
أنتَ. أنتَ المعتَلى وهي الرُّسوبُ.

مرَّةً عرَّجتَ. قالــوا: رابَهـا
أنْ رأت مَن هو للبال ربيبُ،

أعِدِ الكَرَّةَ، زُرْها اليـومَ، زُرْ.
نُسْكِرِ الشِّعرَ أنا والعندليبُ.

عملاقُ مِصْر

شِعْرٌ ولا أَنتَ؟... في بُرْدي انضنى أَلَمُ
عملاقَ مصرَ، تطلَّعْ، وانحنى هرمُ.

راثٍ أَنا اليومَ؟... دَعْني من رِثاً وبُكاً،
نارٌ ببالي وفاءٌ كنتُ أَعتزمُ

* يوم احتفلت مصر بعزيز اباظه.

قالوكَ تُكمل خطًّا؟... ويحهم خطِلوا،
في غفلة الوحي، أنت الطُّورُ والكَلِمُ.

أَالشِّعرُ بعدك صار الشِّعرَ، ردَّده
مَن رأسُه فوقُ، مَن لم يُغْرِه غُنُمُ.

إثنان أهواهما: نُبلٌ بشِعركَ لم
يَتْعبْ، ولبنانُ منه تتعبُ الأُممُ.

سُكري بشوقي أو آني غيرُ ذي شيمٍ
وقولُ شوقي بزحلَ[1] السُّكْرُ والشيمُ،

---

[1] اشارة الى قول شوقي:
إنْ تُكْرِمي، يا زحلَ، شعري إنني
أنكرتُ كلَّ قصيدةٍ إلاَّكِ،
أنتِ الخيالُ بديعُه وغريبُه
الله صاغكِ والزمانُ رواك!

هُنا الهوى شَدَّ بين الأُمَّتين، هنا
في الشرق، ما نَسَمَت قبل الهوى نَسَمُ،

لكنَّ شِعرَكَ أَنتَ، الشِّعرُ يعبُدُه
معي، ونَغوى أَنا والليلُ والنُّجُمُ...

ما أَمَّروكَ ؟... إِخالُ التاجَ ضلَّلهم
وجاء جبهتَك الشمَّاءَ يستلمُ.

*

حُمِّلتُ غصناً من الأَرز، استظلَّ به
أَو رعمسيسُ أَو الوفَّادُ من عَظُموا

أَو مَن نماهم ثرى لُبنانَ، مبتَدِعُ
البُدَّاعِ: مَن نثروا الدنيا ومن نظَموا،

به أَلفُّ جبيناً لا الشموخُ حكى
أَغلى، ولا العودُ وفَّاهُ ولا النَّغمُ.

طَوَّقتَ جيدي بأني «عَقلُ أُمتنا
يغُلُّ مِن سِحريَ» الأثباتُ والهُيُمُ ؟

كلامُكَ السيفُ، ها بالسيفِ تُرسِلُه،
والاصطكاكُ سَكوتٌ عنده القلمُ !

بديعُ رَصْفكَ، فيه أنت: قامتُكَ
الغيناءُ، صدرُك، صدقُ العزمة، الشَّمَمُ،

وفيه من أسرةٍ قُلتَ الرماحُ نَمَتْ
قوماً، وقلتَ بِخَيْلٍ طارتِ الهِممُ !

مصرٌ تنشِّئُ ما القوقازُ أنبته
منها الحضارةُ، منه النَّبْلةُ الحَكَمُ.

ما الشطرُ من بيتك الملآنِ غير صدىً
لكرَّةٍ عبْرَها الأعداءُ تنهزمُ،

حتـــى إذا ردَّ شطــرٌ آخـــرٌ لمَـــعت
أُهزوجـةُ النصــر يَغـوى فوقهـا العَلَـمُ!

أمَّـــا القصيـــدةُ، مما رُحْتَ تَعْمُرُه،
فـالبرجُ مـاد كمـن بالأُفـقِ يصطــدمُ،

يقـــول إنَّ ابتهـــالاً سِرُّ فتنتـــــه
وإنَّ دقّا على بابِ السما الحُكُمُ !

*

غنَّيتَ لُبنى، ألُبنـى غيرُ مَن هجرتْ
لتسكـنَ الدمع في عينيك يَنسجـمُ ؟

لَنجمةُ الصبحِ ودَّت لو تكـونُ لهـا
بديلـــةً، وعليهــا الشّعـــر ينهـــدمُ.

واريتَهـا لا بتُرْبٍ، بل بوردِ ضُحـىً،
والــــحبُّ حبُّك وردٌ بالشذا بَرِمُ...

وفجَّر الدمعُ فيك النبعَ. مصرُ، رِدي
نِيلاً من الشِّعر، يا نيلاً هو الكَرَمُ.

بمصرَ حُبِّبتِ الدّنيا، فكيف إذا
راحتْ على الريشةِ الخضراءِ تضطرم ؟

أقولُ: كُتْبٌ الى نجمٍ تُشَدُّ فطِرْ،
حُدوثُ، والعبْ كما لم يلعبِ القِدَمُ.

*

عِملاقَ مصرَ، قوافيكَ الكِبارُ بنا،
بنبلها ما يزالُ الأرزُ يتَّسمُ.

ومَن أنا لأرُدَّ اليومَ بَعضَ ندىً ؟
صُمٌّ قوافيَّ في رَدِّ الندى بُكُمُ.

إنْ شاعرٌ هامَ بالنيل انتشتْ قِممٌ،
في أرضنا، أو تصبَّى مادتِ القِممُ.

مِصرٌ هي المَجدُ، كان المجدُ مُذْ طَفَرَتْ
في البالِ، فالكونُ أُذْنٌ بعدَها وفمُ.

أُولو النُّهى الصِّيدُ[1] نادَتْهم هياكلُها،
وعِلمُها رَفَدَ الصِّيدَ الأُولى عِلموا.

غاوٍ بها شرفُ الانسانِ، ما خَذَلت
عصراً، وغاوٍ بها ذو الريشةِ العَرِمُ،

إنْ ضامها الضَّيمُ مَسَّ الخالقين دُنىً،
أو نالها الظُّلمُ راح الحقُّ يَظَّلِمُ.

لبنانُ نحن! وها نحن الشهودُ لها،
نَدينُ، يومَ آنتصافٍ، ليس نَتَّهِمُ.

---

١) الفلاسفة الاغارقة.

الحبُّ نحن شرَعنا[1] ، الحُسنُ نحن بدَعنا،
البُغضُ نحن قطعنا أنّه العدمُ،

جبيلُ قالت بقاءَ النفس واكتشفتْ
ربَّا أبى لقضاءِ السيف يُحتكمُ،

الليلُ لولا سُراها غربةٌ قتلتْ
والشمسُ لولا هواها وَهْمُ مَن وَهِمُوا .

بَلى، جراحاتُ مصرٍ في مضاجعنا،
في الروح يُسخى بها، في العَظم يَنثلم،

في الريحِ ، في غَضَبات الغيظ، في غَدِنا،
في مبتغى ما ابتغى الأَبطالُ إنْ هجموا،

---

١) اشارة الى قول الاله إيل: « الحربُ ليست من مشيئتي، ضَعوا الأرض الصلحَ، ابذروا في التراب المحبةَ، وصبُّوا السلامَ في ... الأرض ».

ما لم نَزِنْ مِصرَ وزنَ الحقِّ يبقَ دمٌ
علـى الضميـرِ ويبقـى أن يُراقَ دمٌ !

*

أطللتُ منكَ علـى التاريـخِ رنَّحنـي،
همي كما الضوءُ في بالي، كما الدِّيَمُ...

ويَعطَـرُ البـالُ إنْ يَمْسَسْكَ، عِطْـرَ يَدٍ
مسَّت بنفسجـــةً أنفاسُهـــا حُرُمُ.

لِمْ لا؟... وفي القَصص العالي الذي نَسجَتْ
غزَّارتـاكَ استجـدَّت سِحرَهـا النُّظُـــمُ.

غدا الهـوى بِدعـةً، مرًّا ببـــال هوىً
وسُكْرَ عقـلٍ علـَى القرطـاس يرتسمُ،

وآيـــةً طَرُفَتْ حتَّـــى ليرشُقُهـــا
غيَّـان أنْ أنـا ضِلِّيـلٌ ولـــي جُرُمُ...

بالكأسِ أفديكَ، بالدنيا، بساجعةٍ،
بلوزِ نيسانَ للزَّيْنات يَبتسمُ،

بالشِّعرِ، بالمنتهى، بالمجدِ أشعلَني،
بحظٍّ عيني بعينِ الحقِّ أُتهم!

حتى إذا لاحَ لي أنّي وَهَمْتُ؟ هَمَتْ
منّي الشجونُ كَمِن أفلاكِها السُّدُمُ!

رفيقَ شطرةِ عمرٍ، ذاكرٌ ولَهاً
بِشِعرِ مَطرانَ والألبابُ تحتدمُ؟

أُسمعتُكَ المُرتجى. ما كان؟... دَعْ خُلُقي
لِلصمت، لا شَرَفٌ إلّاكَ، لا ذِمَمُ!

ما زلتُ منها كما بَوحُ النسيم لمن
من النُّسيمات تُشقي وهْيَ لا عَلَمُ:

ـــ مُرّي بدارتنا، يا طِفلَ، وانحَطِمي
على بساطٍ من النِّسرينِ يَنحطِمُ...

بِهُدبكِ الريحُ تنأى، أنتِ مرتحلٌ!
بقدِّكِ الشوكُ يَدْمى، أنتِ منتقمُ!!

إنْ كان بالهَزْجِ من صُبْحِكِ لا أمَلٌ
فعِند خصرِكِ لِمْ لا يصدُقُ الحُلُمُ؟

حتّى إذا ينـدري شَعْرٌ وكنتِ غِوىً
تَملْمَلين، وآهَ القولُ والقَسَمُ،

تَهُمُّ شمسٌ بأن تَغْشى فأمنعُها:
ضِيعي معي، يا ضَياعي، وآحْلُ يا ندمُ...

وتسألين: لِمن سُهْدي، بمن وجَعي؟
يا قاطفَ الشمسِ، أكمِلْ أو أنا الرِّمَمُ!

ونَنتهي ننتهي في قُبْلةٍ ولِهَثْ
وفوقُ يغمزُ فينا بُلبلٌ رُنُمُ...

شيءٌ عنِ الشِّعر هذا، آستلَّه كَلِفٌ
بالشِّعر، أم سُكْرُ صبٍّ ليس يحتشمُ؟

فلْنبقِه بيننا سرَّ الكؤوسِ، بها
يَمرُّ هاوٍ فيدري أنَّه الجَمَمُ.

*

عملاقَ مصرَ، إذا أُعوِزْتَ في خُلُدِ
فضُمَّ من خُلْدِنا ما شاءَتِ الضُّمَمُ،

مِن زهر لُبنانَ خُذْ عرشاً ومن قيمٍ،
لا زهرُ لبنانَ منّانٌ ولا القِيَمُ.

فليرو الزمان

على اسمكِ، بين الحَوْر أغوى وأهذُرُ،
أنا النهرُ، شوقي، أيُّنا اليومَ أشعَرُ ؟

هنا، الذكرياتُ، المجدُ، ما بعدُ من صِباً،
هنا أنتَ، فليرو الزمانُ ويسكَرُ !

* يوم احتفاء زحله بتمثال احمد شوقي.

طرقتَ، لِمامَ الطيف، ذاتَ عشيةٍ
وكوكبَ من حَوْليكَ جِنٌّ وسُمَّرُ...

هُمُ أسمعوكَ القولَ، زُلزلتَ من شجىً،
هُمُ سكبوا، جُنَّتْ بكأسكَ أخمُرُ،

وحتى اذا غنّى (شفيقٌ) ورُنِّحتْ
بلابلُ واعلولتْ، لِما قال، أنسُرٌ،

وعرَّجَ صوبَ الكون (راجي) يزيدُه
صِباً، وتغاوتْ حِكْمةٌ تتأزَّرَ،

ولاعب بعضاً من خواطرَ أو منىً
بيانٌ لذاك (الشبلِ) بالضوءِ يقطُرُ،

وكانت نسيماتٌ لزحلَ عليلةٌ
تجِي وتهِي والليلُ تعبانُ مقمرُ،

يسائلُ: هذا الكونُ أكبــرُ أمِ همُ،
نماهـمِ وغنَّى أمْ نمَـوْه وخبَّـروا ؟

هممتَ بنُطقٍ... انما هِبتَ موقفاً
فقلتَ: لكـم يومٌ معـي طاب يُذكـرُ.

*

على سنتين الأرضُ دارتْ... تطلَّعي،
قصيدةَ شوقي، جاءَكِ السهلُ يُزهِـرُ...

تقولـين ماذا ؟ أنـا السيـفُ والنُهــى
لَهَونـا بأكــوازِ النجــومِ نبعثـــرُ ؟

وأنْ جارةٌ طابتْ على الحبِّ فالتوت،
لهــا فوق زَنْــدٍ غَنجــةٌ وتكبُّــرُ ؟

قصيــدةُ، فُضّي السرَّ: خصرُ حبيبــةٍ
هنــا أم كلامٌ أبجــديٌّ مخــدَّرُ ؟

أنا بعدما اعذوذبتُ أُعبُدُ شِعْرَهُ،
وقعتِ على زَندي وشَعرُكِ أشقرُ...

هو افتَنَّ قصداً، قال شَعْرُكِ مِن دجىً
يُستَّرُ... والعُشّاقُ دوماً تستِّرُ...

وقد لا تكونين استجبتِ. رددتِه
كسيراً... فان يعزِفْ فعودٌ مجبَّرُ...

تعالَيْ نُحِبُّ الحبَّ، جارةُ، لا انتهى
اليه زمانٌ، لا براه تحسُّرُ،

كما اسمان في بعضِ الحكايات علنقا
مَخِيلَةَ قُرَّاءٍ فجُنُّوا ودُمِّروا...

سِوانا بعصرِ الكرم يسكرُ. نحن لا.
بنا سُكْرُهُ الكرمُ، اقطِفيكِ سأعصِرُ...

أنـــا لي أَفانيــــنٌ جديـــداتٌ لذةٍ
عليهـــنَّ كرُّ الثانيـــاتِ مسمَّـــرُ،

اذا همَّ آنٌ بالنفـــاد ثنيتُـــه،
تُرى الآن يُدرى لو أنا لست أَنظُرُ ؟

تمرُّ يدي من خلفِ خصرِكِ... لا جنت...
كفى أنْ ستُستهوى... كفى أنْ ستُهدَرُ...

لذائذُنـــا بالشوكِ أغـــرى تفتُّحـــاً
وأوجـعُ من شمِّ العَـــرارِ وأَعطـــرُ،

وطـرفُكِ يَحْلَولي لي فيخلـــقُ جنـــةً،
ويقطِفُها طَرفي فهـــا هيَ أكثـــرُ...

نميدُ ؟... دعينا... بل تميدُ بنا الرُّبى
لنحـنُ غِواهـنَّ الرُّبـى والتبختُـــرُ !...

تقولين لي: «أهواكَ!» تفترُّ زهرةٌ
ببالِ الصدى تحكي... وتبكي... وتسهَر...

وإنْ تسكُتي أُحيِّ التقاءَةَ لفتةٍ
بلفتةِ تلك العينِ تدعو... فأُبحِرُ...

الى أينَ؟... من يدري؟... لَسِرُّكِ بعضُهُ
الدُّموعُ... وسِرّي أنني لا أُخيَّرُ!

وألمعتُ أنْ لو يلتقي بفمٍ فمٌ
فألمعتِ أن لو لا يكونُ المقدَّرُ.

وحاولتُ أن أشفى. سوى أنَّ عاصفاً
بصدري رماني حيثُ سحْرُكِ يسحَرُ.

وشدَّكِ صوبي من ذراعي تولُّهٌ،
وأنكِ طوقُ المستحيلِ وأكسِرُ!

*

بعيدٌ قريبٌ... عهدُ زحلةَ بالذي
رماها ببالِ الناسِ حسناءَ تطفِرُ...

وآنا هي الشِّعرُ الوحيدُ، أما انتهى
الى قولةٍ فيها تعيشُ وتخطُرُ ؟

عروسيَ، حبّي ما بدعتُ. لمنكِرٌ
أنا كلَّ شِعري، غيرَ ما عنكِ أسطُرُ !

بقلبيَ، شوقي، أنتَ ! بالنهر، بالندى
بكل شذا وردٍ كما الخُلْقُ يُنشَرُ !

تفينا الوفا هذا لأنَّا على الهوى
هزرناكَ، يوماً ؟ ما الهوى ؟ النُّبلُ أكبرُ ؟

لَمِنْ أجلها ها أنتَ، ما الصبحُ، ما المسا؟
على ضِفَّةِ النَّهْر، الأميرُ المؤمَّرُ

ولكــنَّ منَّـا من بكـى. هل سمعتَــــهُ
يسائـلُ، والتسـآلُ كالبـــوحِ يؤثَــــرُ:

ـ حديداً رَجَعتَ اليوم ؟! ويحَ مسافرٍ
كمـا مرمـرٌ هَنَّـــا، وهَنَّـــا تمرمُـــرُ،

وما همَّ... كنتَ الشعرَ، يُكتبُ فرحةً
فيقـرأُ آهــاً، طابَ يَشدو ويَــزأرُ...

يخالـونك الوَقَّـافَ: أَحـداثُ عصرهـم
لوتك، كما الأَطلالُ والرَّكبُ يهجُـرُ،

يضِلُّـون ! لا إِلَّا الجمـالُ عبدتَـــه،
كبـعضِ الدُّمـى أَحداثُهـم بك تعبُـرُ.

همومُهمُ الناسُ: الغنى، السكرةُ، العُلى،
وهمُّك رشقُ الآنِ بالحُسْنِ يَبْهَرُ...

تَوافهُ؟ ما كانـوا، ظروفـاً تخِذْتَهـا،
كشمسٍ تدوسُ الليلَ تقهَرُ تقهَرُ...

همُ مفـرداتُ المُعْجَـمِ السُّودُ سلَّهـا
لَيرصُفُهـا كالنـارِ غاوٍ مغيِّـرُ،

فتسمـعُ دنيـا ما يقـولُ ومـا يرى،
وتقلـقُ بنتُ الغيب نهـداً وتظهـرُ!

وما الشعرُ؟ بعضُ الغيبِ غنَّى كطائرٍ
وبـعضُ نُهـىً إن رَدَّ رَدَّ يُحيِّـرُ.

ويا رُبَّ حرفٍ أَشعـلَ الشطـرَ كلَّـه،
وشعبِ خرابٍ سوف تبنيـهِ أَشطُرُ!

أختُ الكتاب

تمنَّعتِ في قلب الشِمال كما الحِصنُ
لكِ السَهْمُ يا اختَ الكتاب، لكِ الرَنّ

عليك تُخَطّ الشمسُ صعباً جمالُها
وآنا تُخَطّ الريح عاصفُها لَدن

فَيسمعُك الحكّام، يَخفُت صوتُهم،
كأن قُلّموا ظِفرا، كأن مَسَّهم وهن

---

* في يوم « صدى الشمال » الذي احتفلت به الأمة في طرابلس.

ويُشرِق بعضُ النور من صوب اهدنٍ
لأن اسوذا أُشعِرت أن طما ٱلغبن

ويا نُقطةً م الأرض شُدّت الى العُلى
رجالُكِ الّاً بالرجولة لم يَنوا

صحيفتُنا أم سيفنا ؟ أيّ فارق ؟...
هنا شَمَختْ رأسٌ، هنا شمخ الفن

شُغِفْتُ أنا بالعنفوان، خبِرتُه
صنوفاً، وآخاني كما الغيمةَ المُزن

ولكنَني للعنفوان بمرقَم
تمايلتُ قلتِ الطير مال به الغصن

أسائلني: بالورد، بالشعر، بالسنى،
أنا جئت، أم بالليل أطرحُه يرنو

الى قلمٍ لبنانُ أحلام بالـه
وأرزتُـه ما مُكتساهُ وما الرَدنُ

أنا قلمي ــ أفديه ! ــ طفل ازاءه
له الزأر إن نغضب معاً، ولِيَ الأنُّ

يصول يجول، النارُ بعض صريره،
به الأنسُ من غاب الشِمال أو الجن،

وعلَّم أذني كيف تُنقر نبلةٌ
كعود، وعيني كيفَ يبتسم الطعن

لَرائعةٌ شكّاته يوم هجمة
وصافية آراؤه والملا جُنُّوا

يقول: هنا هادن، هناك أضربِ الخنى،
هنالك خلّ المستبدَّ له عَنّ

وكابِرْ على جرح وقل: لمَ أُصَب أنا
ودع قيحةَ الحُكَّامِ يُسكرها الأحن[1]

وأجملُها الهمَّات أن غريمها
يميع على الجُلّى كمن هدّه الجبن

وما الحق لم تطرب له، لم تهِم به،
هو الراهنُ الغلّاب والآخر الظنّ...

وما ضرّ أن رَدّوا عليك بمثلها
وحطَّم منك الضَغثُ[2] ما حطَّم الضغنُ![3]...

ستكبُر ان تُهزم لأنك في غد
سترجع رُجعى السيف طيِّبةُ السنّ

بلى هكذا رحنا معاً نبتني العلى
سخاءً بلهو، وحدَه اللهوُ لا مَنُّ

---

١) إضمار العداوة

٢) الخلط

٣) الحقد

مُنانا رضى لبنان، وجْهُ خلوده،
نضيع به كالشمس ضاع بها الدَجن[1]

وما همّ أن مُتنا ولم نبلغ المنى
كفى أن مشينا لا التواءَ ولا هَدْن

غداً، في خُطانا، يجبَه الصعبَ نفسَه
بنونٌ همُ الاسياف مِقبضُها نحن

اليكِ، أيا أخت الكتاب، مكارمٌ
تَحُجّ، تقول: الكأسُ هَمّيَ لا الدَّنُّ

هل الخمر بالحجم ؟... اكشِفي عنك: آتنا
كما صورُ، قلّ الجِسم واكتوثر الذهن

بأسطرك اللا بالألوف حميته
الشِمال، جِبالاً مِن جنىً حُوَّل الحَزْن

---

١) الليل

فلا مجدَ مِن أرث الجدود اغتفلتِه
ولَا غدَ عزٍّ هِبتِه وهوَ مُكتَنٌ(١)

جميعاً جمالُ الروح أنتِ له صدىً
جميعاً بهاءُ الله أنتَ له سَدُن

بنفسجةَ الأقلام، يومُك، أُمَّةٌ
بهِ افتُتنت والعمر أَجْمَلُهُ فَتنْ

لَيُطرِب بالي حملُ قِيثارتي هنا
ولا طرَبَ الأوتار طار بها اللحن

وشِعري الذي غنَاك طيَّبتِ بثَّه
كما دقَّةُ المِهباج طيَّبها البُنّ

---

١) مُخبَّأ

رصّعت بالي

رصّعتَ بالي وعُمري ازهـــرٌ نضِرٌ
كمـا يُرصّع ليــلَ العــاشق القمــرُ

ودارت الأرض، لُقيـانـا عـلـى وَرق
لقيـا التي جُنّ من سَمْعٍ بها الوتر

لا مسها... لا رآها... صُوّرت املاً
في موضعٍ ما... واحلاه الهوى صُوَر

* في يوم شفيق معلوف الذي دعت اليه مدينة الشِعر.

ابقى من الحب وُدٌّ اين عارفُه ؟
هل يعرف العطرَ الا زهرُه العَطِر ؟

إن شاعرانِ، كما نحن، استطابهما
عصرٌ وناجتْهما في القبة الـدرر

وفتّحا الورد من روض ومن رِيَش
وفتتا المِسك حتى لهْوَ منهمر

ورقّصاالجنَ والاحلامَ وانتهرا
بَوَّابةَ الليل أنْ فلْتُهتكِ السُتُر

وكان قلباهما ما الصدق ؟ ما شممٌ ؟
ما الشمس تقطفها كَفٌ وتعتصر ؟

يبقى على الدهر ما خطّا... وما نَسِيا...
وما به آه مما أُسمِعَ الحجر...

أَجِب، أُخَيَّ، الصداقاتُ التي ربطَت
ما بيننا امس، حقاً شابها قِصَر؟

حقاً ستَنقل كُتْبُ انا خبر
كالغيب يُسأل دوماً فيه: ما الخبر؟

ومرتين، عطيّاتُ الزمان هما،
يشاؤنا نَلتقي لا يَبخل العمُر

على ربى كرمة او ضِفّتي نهَرٍ
له الهدير الذي ما زال يُبتكَر

اقول: خَلّكَ في لبنان، مرتعُها
تلك الطفولةُ نادى والمُنى كُثُر

يُحِبّنا النهرُ، يَروي ان منبتَنا
في حيثما نبتَ الشجعان والشجر

وأنَّ زحْلَ سمـــاءٌ بعضُ انجمهـــا
الشعرُ، الندى، الزنبقاتُ، النخوة، الكِبَر

لها الفتوحات حيث الوُلْدُ قد ملكوا
لكنما العـرش حيث الأمّ تنتَظِـــر

تحتجُّ انت بفِلـذات لهـم وطـــن
هناك، يا جُرْحَ بيتٍ اهلـه انشطروا

الا انفُضِ اليوم عنك القبرَ مدَّرعاً
مهابــةَ الصقــر عينــاهُ هوىً شَزِر

مجلجــلاً: أنـــا كلٌّ لا أشرذمُنـــي
على الدخيل انتصرْتُ؟ الكلُّ منتصَر

وواحـدٌ مجدُ لبنان الـذي أخـذَتْ
عنه الحضارةُ ما لـولاه ولا حضَـر

جبيلُ بيروتُ صيدونٌ طرابلسٌ
إطارها البَـدْءُ او لا كانت الأُطُرُ

ان مُسَّ ذِكرٌ لِقانا او لِصورَ سنىً
مُسَّ الكمالِ، رؤى التاريخ والعِبر

او خُمّشت لَمعةٌ مِن بَعلبكَ اسىً
توجَّعتْ مُهجاتُ الحُسن تنفطر

أقسِّمُ البيتَ ؟! ماذا ! الأنتصارُ سُدىً !؟
ماذا ! دماء رفاقي في الفلا هدَر !؟

لِبعض لبنانَ قاتلْتُ ؟! اشهَدي، شيَمي،
كما السواحلُ هاتيك الربى الخضُر

شمالُهُن، الجنوب، القلب تلك سما
بالي، لَتبقى ويبقى الرمْل والنَهَر

ووحدَهُمْ اهلّها اغلى على كبدي
منها، كعينيَّ اغلى منهما البصر

جميعُنا لفحَتْنا الحرب: ذاك بما
قاسى، وهذا بقصْدِ الموت يبتدر

ولن افرّقَ، ناسي الناس لا بعُدوا
كذا الينابيعُ، مائي الماءُ لا الكَدر

ولستُ اخسر نصراً هزّ اعمدةً،
لبنانُ منشطرٌ؟ لبنانُ مندحر!

تراجعٌ نحن؟ سُكنى في الخباء؟ أشِحْ
جمالهُ السيف ان السيف ينشهر

بلى جراحُكَ مِن بَحر توزّعنا
هَنّا وهَنّا صغارٌ عندها الحُفر!

اسكنْتَها بعضَ قصدان كما غُصصٌ
للناي اوجعُ منها الناسُ ان غَدروا

إفتِنْ بشعركَ لكن قلْ تحطّمَه
ممن غوَوا وبذِمات العلى كفروا

لوَحدَه في العداوات الدخيلُ، جرى
بباله غَصْبُ ارض تُربُها الطُهُر

وان نكن لِربىً خضرٍ شمخْنَ هوىً
شطٍ وقمّاتِ صخرٍ ليس تنكسر

معانادتٍ، لها في اللّه، والتفتت
دوماً الى اللّه، قل هل بعدَها خُسُر؟

بلى سنبقى ويبقى فوق صخرته
لبنان قهّارَ مَن ما غيرُهم قُهِروا

وقال مِن خطر نمضي الى خطر ؟
ما همّ ؟ نحن خُلقنا بيتُنا الخطر

يا شاعرَ الحكمةِ اعلولتْ كما شرفٌ
هَيمى بما لا حَكى الإغريق لا سَطروا

واين منبتُها ؟ الصحراء ؟ ويكَ ! أجبْ
أأنتَ ربٌ لِيغشى قفْسَرَك الزهَر ؟

تلك الأساطيرُ شُكْرُ البال، واحدةٌ
منها مرورُكَ في الدنيا كما الشَرر

تكون كانت، وشقّت عبقرٌ غدَها،
لو لم تَعَرَّ لعِملاق وتأتزر ؟

حقائقٌ ام خيالاتٌ ملأتَ بها
كأسَ الوجود فدارتْ والملا سكِروا

قلتَ الجراحَ زهورَ الحبّ، قلتَ ندىً
هَمَّ الندى، قلتَ ما السُهّارُ إن سهروا

غَوَوْا عذارى وزَيْناتٍ خواطرَ، ضِعْ
ما بين بين يَجذْكَ الصحبُ يا سمر

الليلُ يشقى بعشاق ؟! ضللتَ منى،
يشقى بها الليـل تلك الخـرَّدُ الفكـر

وقلتَ كيف الهوى الباقي ولو جُرُحاً
اشهى مِن العمر جرّاحا به الضجر !

وقلتَ ما الحـربُ الا القـوةُ أفتُتِنتْ
بنفسهـا، وزهـــورُ الشر لا ثـمـــرُ

وان حرّيـةً فـــوق الجَـمــــال هي
الاحـرار، لا الكلماتُ الخُلّبُ الغُرَر

وأن مَن عَمَد العَليا باعمدة
كبعلبكَّ أَطاعتهُ العُلى الأُخر

حنتْ عليه السما، أَغفتْ على يده،
كما تغافى على اجفانِه النظر

وقُلتَ ما قاله للشمس عابدُها:
اغدو انا انتِ او لا يُبلَغ الوطر

ماذا ! شردْتُ انا ؟ حمّلتُ خمرك ما
اهوى ؟ لها الكأسُ اما طيّبت عُذُر

جُزْ جُزْ معي صوب اخت الحسن، ربّتِه،
في كل بال أناهيدٌ لها اثر

عرفتُهما انا مَنْ، والحسنُ اعرفهُ
براه ربٌّ ولكن كمَّلَ البشر

نقلتَهـــــا عن هواك، اللهَ في يدهِ
شاركتَ !ها بِكَ أنتَ الحُسنُ يأتمر !

أعزُفْ وريشتكَ الهُدبانِ ، ضِع وأضِعْ ؟
وعبْرَ هُدبَينِ كم يَعذوذبُ السفر !

يا وردةَ الورد، خُطّي فوق ناسمةٍ
أنْ زرْتِها الارض فاحلولت لها ذِكَرٌ

عينانِ لا الليلُ مرمِيًّا بغيرهمـــا
ليلٌ، ولا الضوءُ الا منهما خـدِر

ومُعنِقٌ لم يزلْ يعلو كأنْ سحَـر
يقـول ازميلُه: لا ينتهي السَحَر...

وقامةٌ شكُّهــا شكُّ الجريــد بدتْ
لِقاهريـن بَهَوا بالحرب ما انبهروا

بلى، التقاءُ التي صُبَّتْ، كما حلُمٌ
في بال شاعرها، قهرٌ ومقتدَر

لأُمةٍ صانها عن ذلّة قلمٌ
لا السيفُ اجملُ ان يُسعِفْ ولا القدر

لِمَ انتصرنا ؟ أمتّنا الموت؟ لم نهب
الدنيا تجمّعَ منها النابُ والظُفُر ؟

لأنّنا كان منا شاعرٌ عَبَدَ الحسن،
العلى، المنتهى، العِرضَ الذي يفِر

ندى الغمام، سماحَ الكف، رَدَّكَ لم
تَجبُن — قوافٍ بهِنَّ اللهُ يُختصر!

زهورُ لبنان، وهْي الحربُ، ما وفدتْ،
نكَّستُها الأسْيُف، اعبرْ رأسَ مَن عبروا

الى الخلود الى حبِّي، الى ملأٍ
أعلى، جِثيٌّ له التيجانُ والسُرر

الى ظلال التي في المنتهى ورَفَت،
على اسم سِدْرتنا، تعلو وتنتشر !

آتٍ مَعي زَهْرُ لُبنانا

ذكراكَ في البال ما ذكراك؟.. قل ضُرِبا
على هوى الرعد سيفٌ أشعل السُحُبا

ولــو لِريشــة عصــرٍ أَن تظلّلــــه
لكنتَ كالليـل لفَّ المنتهـــى بإِبــا

والليـل وحـدَك تدري أيـــن مَنبَعُــــه
وكيـف كان وكـان الله ما وهبـــا

---

* في مهرجان «أيام طه حسين» بالقاهرة.

مِن قبل ما الأزلُ ابدوْدَى رمى يدَه
على الذي سوف يغدو الكونَ واجتذبا

كذاك أنت، رمتْ عيناك ليلّهما
ثِقلاً على الشرق، ردَّ الشرقَ ملتهبا !

لا، لم تَقلها « استفيقوا »، انما بدعت
يداك بدعاً تصبَّى الجفن والهُدُبا

بات الذي يقرأ « الايام » مختلياً
بالحسن والحسن يُنبي يومَ ليس نبا

*

بعد الكتاب الشجيِّ استُنَّ مُنتهَج
أنْ يصدق القلم، أزهوهى ام انتحبا

تعلَّم الجيل من طفل تمُرُّ به
أزاهر فترى في وجهه العطَبا

فتكتمُ الحزن عنه خوف تجرحه
لكنه هو لا يستهذب الكذِبا

يمضي اليها يغنيها يحبِّبها
به: « يا أزاهيرُ، انتشي طربا

أنا الطبيعةُ لم تُغدق عليَّ فلِمْ
أرُدُّ بالمثل ؟... هاني الكأسَ والحَببا

الا اشربي، يا أزاهير، اشربي: لَيدي
تسخى كما النيل ان واثبتهِ وثبا ».

تعلَّم الجيل من طفل تؤدبه
« الأيام » حتى ليغدو وحده الادبا !

*

مَن واكبوكَ وَمَن ظلُّوا العجاج بِهِمْ
بنيتَ مصرك واستنبتَّها القَبَبا

كما صرعتَ، رفعتَ: الريحُ آيتُها
أنِ الغِوى هيَ، لا ثوبٌ ولا قَشُبا

واليومَ في ظل ما أطلعتَ من فِكَرٍ
يُنامُ تيهًا على المجد الذي اصطخبا

دعني وخاطرةً تفترُّ قلتَ « نفرتيتي »
تعود على لِعْباتِ من لَعِبا

ذاك الذي حطَّ في الصُلْب الجمال اذ
اعلولى، وسمَّرها الأغنيَّةَ الذَهبا

مُخَلِياً لشروق الشمس غصَّ شجاً
وباعثاً حَسداً في الناي إن عذُبا

ومَسحةً لا تنِي سِراً ومفتَتَنا
بأن يُرى أرَباً ما لم يكُن أربا

وشائلٌ بغِواهـا وهْـمُ ان لـهـا
مثلَ الجناحين رفًّا فوق... واغتربا...

وما التقى الحُسْنُ من لبنان ضجَّ صِباً
بفنّ مصر تغاوى في الحديـد صِبا

حتى غدت للأولى قيلوا العقول مُنىً،
وللأولـى ارتحـن لاستغبائهـن غَبـا

لا الحسُن، بل حُلْمُ أنّ الحسنَ طوعُ يدٍ
كأنمـا الله ممـا نَفهَـمُ اقـتـربـا

ذاك الـذي تَرك التِمثـال متعبـةً
للنـاس قالـوا انتهـى يومَ انتهـى تعبـا

إزميلـهُ أنت أم لِمْساتُ إصبَعِـه ؟
سَلْ وجْهَ مصر وما أُعطى وما خَلَبا

*

ومصرُ ثِنتـان: ما احييتَ انت ومـا
أَلهَمْتَ. هذي وتـلك الفكـرُ منتسِبـا

اللهُ؟ أيَّ هُدىً كانت هياكلُهـــا؟
وَمـن تَعـاجب لو لم تُعْطِـهِ العجبـا

نادت بُنـــاةَ اثينـــا ـمن غد، ورمت
في قلبهـم شُعلـةً تستوقـف الحِقبـــا

واستعجلتهـم، فبـرّوا امَّهـــم كرَمَـــا
فكـوّا الظـلامَ وقالـوا القولـةَ السببـــا

ومِصرُ مَنْ علَّمت! لا البَدْعُ تكتُمه
عنهم، ولا خاطراتٌ كالسُيوف شَبا.

كأنهـا أنت، طلـــقٌ بالُهـــا بنـــدىً
كأنهـا أنت، زهـرٌ مرجُهـــا بِرُبـــى

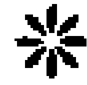
واليومَ مِصرُكَ، مَن اطلقتَ، مصرُ مشت.
فاقرأْك شعبَ هُدىً واقرأك شعب ظُبى !

تلك الكرامات في العقل ارتجتك أخًا
تلك البطولات في الحرب ارتضتك أبا.

في الصوت، في الموت، ها أنت العظيم !الا
افتَحْ مقلتيك عليك، استبعِدِ الريبا

انت الحقيقة ! طِرْ بالخاملين، أفِضْ
فيهم عتُوَّك، ضيْءٌ كالنور منسكبا،

سَيرَ الزمان الا سرِّعْ، هنا كمِلٌ
شروقُها الشمس في الشرق الذي اكتأبا.



آتٍ معي زَهرُ لبنان وكنتَ صدىً
لثورة في بنيه تَنزِل العَصَبا

ليست من النار لكن مِن ارادتها
تُعطي الهنيهاتِ نَبْضاً، تشربُ الغضبا.

إنزِل بقلبي، بِهَمٍّ الأرز يومَ اسىً،
بالشيح بالريح، بالهبّات غِبَّ صَبا

إنزِل بما ضَجَّ في لبنان من ولهٍ،
بالكِبْر لم ينجرح، بالورد ما انتُهبا

بماردينَ أبَوا الا الحياةَ عُلىً،
بمُمْسكين بقرن الدهر مُطَّلَبا،

بِحبّهم، بضروبِ العزم في يدهم،
بقولهم للزمان: اركُضْ أم آنتَ هَبا

تكنْ نَزَلت ببعضَ الصخر مِن جبل
له على المجد فضلُ المجد إن صَعُبا

*

هتفتُ باسمِك، ما لقَّبتُ، لي عُذري.
مَنــذا يُلَقِّبهــا الَّا بهــا الشُهُبــا ؟

طهَ حسيـن ويكفـي ! ذاكَ منتهَجـي
أنا كما السيفُ طَلْقًا أنـزِل الكُتُبـا.

وَهَل كُنتَ المَوت؟

هُمُ سألوني : السيفَ قلناهُ : هل تُسعَدْ؟
أجبتُ : أجعلوها اثنين : سيفاً ولا يُغمد

أخي نوفلُ، الأبطال تُبكى. احتَفِلْ بها
دموعي، ويَبكي فَرقَداً في العُلى فرقد

شُغِفْتَ بِشعري؟ قُلتَه شَكَّ رامحٍ؟
لَبيتُ قَصيدي أنت، والكَلِمُ الخُرّد

---

* في رثاء نوفل الياس

تُصفّق لي، ها صَفحتي قُبَّةُ السما
بأنجمها ما جَمّع اللهُ أو بدّد

تقيّم شعراً؟ حسبُه منكَ هَتْفَةٌ،
لها الله! بَدْرُ التَمّ خُطَّ على أسود

وهل كُنتَهُ الحَرْمون؟ وجهٌ الى هُنا
ووجهٌ الى هَنَّاك، طَلْقٌ فلا يُربَدْ[1]

وماذا هُنا... هَنّاك؟... قُل كلُّ بُقعة
حللتَ بها عاطيتَها خمرةَ السُؤدَد

فديتُك! مِن لبنان أنت زَها بها،
جَمعتَ كما المُعطي، تركْتَ كما المُفرد

لأشمَخُ تِيهاً حين أذكر قولةً
لك، اختصرت نُبلَ الوفا ومَضت تَشهد :

---

[1]) لا يُحبس

ــ لأهلٍ أنا أصبحتُ منهم أظلُّني،
« وإن يَجحدا أُعتَبْ جريحاً ولا أُجحد

أنا الجبل العالي، كما الله جارُه،
أَجَرّدُ مِن ورد؟... أجرّد لا أجرَد

*

ويـــا ناثِــرَ الــدُر، المنابـــرُ اوّهت
عليك، وجُرحاً بات مَن كان قد غرّد

وقد أخذت عنك المنابـرُ لَفحَهــا،
وطايبها الشِعـر الـذي بعـدَكَ استوحـد

شهـدتُكَ مـا بيـن الدُهـاة أميرَهـــم
وسابِعَها ــ فَلْتكتَمِلْ ــ عُمُدُ المَعبد

ويُصغَى اليك، الحُجَّةُ البكر تَكتسي،
على فَمِك التيّاة، بالرونق العسـجـد

فإن أنت فَنَّدتَ، السيوفُ تقطّعت
وإن أنت أَيَّدت، الهُدى كلُّه أيّد

شهدتُك، هل لي أن أردَّك زعزعاً ؟
تشيل بقوم أو تُحّطُ ولا تَجهد

هدوءٌ كما الأولمب، رَبٌّ لأمرِهِ
أقول الروابي انصعن وامتثل الجلمد

*

ويا خُطبةً لا النَشْيُ مَسّ جلالَها
ولا ليلُ مَوتٍ عاثَ فيها أو استنفذ

تَظِلّين صَرحاً للأولى عبدوا النُهى
وربَّ شُموخٍ في جبينِ النُهى يُعبد

*

بلوتُ شجاعاتٍ أنا، وعَجَمْتُها
بما لِيَ من كِبْرٍ، ومن هِمَم مُرّد

ورحت بها أفري العقول، أحكُّها
على العاصف استوحيتُه البحرَ إن أزبد

واضربها في الهم والغمّ، انتخي
كأنْ قدرٌ عزمي، كأنْ قبّي مُيّد

ولكنْ مِن القبر استمع لي نهرتُها:
له، يا شجاعات، اسجدي، كلّهم سجّد

*

ويا نوفلَ الأبطال، جرّعك الأسى
أنِ الأرزُ في لبنان أُوقِف لا يصعَد

وأغمضتَ عيناً خلّفتهن سُيَّباً
جبالاً وشطآنا وبحراً بنا استمجد

وعدتُك: لبنانٌ يعود، وسيفُه
على الكل، لا أبهى لِشعب ولا أخلد

جمى عبقريٌّ، لا الى الغير عينُه
ولا القرش مولاه، وعدتُك لا يُفقد.

فهرست الكتاب

الوثيقة التبادعيّة

« من منتج للاستهلاك
الى فنان حياته »

الطبعـة الاولى ١٩٧٦
الطبعـة الثانيـة ١٩٩١

رؤيا عن الله والكون

نظام سياسي، فن حياة

١

سكّان كوكب الأرض، عشيةَ الالف الثالث بعد المسيح، يمكننا القول انهم اصبحوا واقفين على حقيقتين :

الاولى : أن الانسان قَفز قفزة كبيرة صوب معرفة ذاته. لم يبق يُرضيه ان نَضمن له عيشه وحسب ولا حتى رفاهَه

وحسب. اصبح يتطلّب لا أقل من أن يبدع أو يشارك في البَدْع، كأنما هو مزاملٌ لله.

الثانية : تعاسةٌ، اكبر تعاسة، ان نَقتلع الانسان من ايمانه بأنه باقٍ الى الابد. وكيف نريده يتصور الارض، الكوكبَ الذي ما كان قد كان، لولا نشاطُه هو الانسان، سوى صخرة بلا قيمة مرميّة في الفضاء، هي تبقى الى مليارات السنين وهو، الذي ثَمّرها وبَدَع مدنيّتَها، يَكُفُّ عن وجود بعد ٧٠، ٨٠، ١٥٠ سنة ؟ مع انه ليس في المعقول ان لا يكون الافضل وجد ليبقى أكثر. ان مجرد هذا الشعور، عَصْرَ أخذوا يقدرون الجودة فى وجه الكثرة، أعاد الايمان بأبدية الانسان. مع كل موكبها: الهٌ قادر على كل شيء، بادعٌ اذن وله السرمدية، والى جنبه : خليقتُه التي تُكرَّم أو تُذَلّ بقدر ما تروح تقرُب ان تصير مِثلَه أو تَبعُد. وفي اللغة اللبنانية ثلاث مفردات : « سرمدية »، « أزل »، « أبد » ــ ليس لها في اللغات الأوروبية إلا مفردة واحدة ــ بمستطاعها أن تسهم في توضيح علاقة الانسان بالله. ان السرمدية، بجزئيها الازل والابد، يَملكها الله وحده. الأزل، اعني الماضي الى ما لا حد، لا يملك الانسان منه ولا ثانية. من هنا وجوب أن يتّضع، الى حد

الانمحاء، امام الله. أمّا الأبد، اعني المستقبل الى ما لاحد، فيملكه الانسان هو والله معاً. من هنا، بالمقابل، وجوبُ ان يشعر بكرامةٍ أجملِ الكرامات .

أن يضارب لا على أقلّ من أن يدع ولا يتنازل عن الايمان بمزاملة الله في انه باقٍ الى الابد، بهاتين الاثنتين يتحدّد اليوم الانسان. ولربما يكون هكذا، في بعض الكواكب، كلُّ عاقلٍ راق سوف يَلتقيه الانسان.

٢

هذا الوعي كان موجوداً في التاريخ، بشكل ومضات نور. وومضات النور هذه هي التي جعلت الانسان، حتى فيما كان يتخبط، يوجد انظمةً سياسية يَحكم نفسه بمُوجبها، ويمضي خطُ تطورها مع خط وعيه لله والكون.

فلسفة حُكم، أعني رؤيا عن كيف سياسةُ النـاس، موضوعٌ شغل كل الادمغة الكبيرة، على تَنَوّع نشاطها : من تور وفيثاغورس الى لينين وتشرشل، وبينهم المثلث الاغريقي : سقراط وافلاطون وارسطو، واصحابُ النور الكبير : دانتي وشكسبير وغوته وفاليري، والعقلان غيرُ العادِيَين : اوغوسطينوس والاكويني، لكي لا نتكلم على

الذين وقفوا انفسهم على السياسة كمكيافيل وهوبس. كلّ من هؤلاء اتخذ لنفسه مُنطلَقاً بعينه. وإنما يخيّل اليّ ان المنطلق ذا الوزن ينبغي ان يكون السؤال الخالد : « انا، الانسان، باقٍ أم لا، اكثر مما هي باقية ترابٌ وشجرة ونجمة ؟ » سؤال الاسئلة هذا، عن البقاء، يستتبع فكرةَ وجود من هو رب البقاء : الله. ان العباقرة الذين رصفوا مداميك المدنية، على مدى التاريخ، هزّهم اكيداً هذا الموضوع اكثر مما هزّهم ما اذا كانوا سينامون على الطوى أو في بيت سقفُه يدلف.

كيف رأى الانسان هذا الخط الآتي من الله صوب الانسان مكملاً طريقه صوب الانسان ـ الموهبة، هكذا تَفتّق له أن يَعمل حكوماتِه.

تعال نمشي مع هذا الخط .

الله، او الاله الواحد، اول ما رآه الانسان رآه قوة وقادراً على كل شيء. اذن هذا الانسان ينبغي أن يكون له مَلِك يحكمه لا يستهان بما له من قوة ولا بما له من قدرة على كل شيء، ولو انه لا يتسمى احياناً ملكاً. وهكذا بدأنا كلنا ملكيين. اعني مشدودين الى حكم فردي أو شبه فردي، المهم انه دوماً حازم.

ونمضي مع الخط : وعَى الانسان انه الى جنب الله يوجد الكون، خليقته المتدرجة من حبة تراب الى مجموعة نجوم. بوحي هذه المعرفة رأى، الى جنب الملك : الوطن. وهكذا صرنا وطنيين. وكنا في بعض الاحايين نلحد او نتناسى الله ولا نعود نأبه إلّا للكون، ونعمل حكومات بعيدة عن القيم التي تستوحي القيم الالهية. ونظن اننا اذا هدمنا المَلِك او الحكم الحازم، نكون خدمنا الوطن. لكنا لا نلبث ان نعود ندرك ان الذي تهمه الوطنية لزامٌ عليه أن يستمر تهمّه الملكية، كما أن الاهتمام للكون لزامٌ أن يظل مستلهماً الاهتمام لله.

ويواصل الخطان مُضيّهما : يصبح الانسان عارفاً بأن الكون ـ الخليقة، افضلُ جزء من اجزائه، ذِروتُهُ، تاجُه، هو الانسان. بالموازاة، يصبح الانسان عارفاً بأن افضل شيء في الوطن هو الأمة. المتر المربع من ارض الوطن مهم، لكن اهم منه المواطنُ الواقف عليه. ويولد حكم الامة. وهكذا نُصبح أُمْويين أو أنتر أُمْويين. وهنا، في مرحلة اكتشافنا ان الانسان هو تاج الخليقة، تتعقّد متطلباتُنا وتتعقد الانظمة السياسية التي تطمَح الى ارضائنا، ولكنها تظل في روحها واحداً.

والخطان اللذان سيمضيان سيظل الواحد منهما يؤثر في الآخر ويلهمه. الآن، بات ينبغي لنا أن نبدأ نتبين أنه، بعد الانسان، يوجد الذي ليس أيما انسان، يوجد الانسانُ البادع، ذاك الذي خلقه الله ليؤازر الله في استكمال بدع الكون. وهكذا يكون الخط السياسي ماضياً لا فقط صوب الامة التي تُنبت هنا وهناك افراداً بادعين وانما اكثر: صوبَ الامة المتبادعة. لفظنا كلمة جديدة اشتققناها خاصة لِتعبّر عن مفهوم جديد يقول انه ليس بمستطاع الفرد ان يدع، بحق وبسهولة، إلّا اذا راح، في كثير أو قليل، يبدع معه سائرُ الناس ويُبدع حلمُهم معهم وأدواتهم التي هي بدورها بِدَع، إلّا اذا راحوا هو وهم يتبادعون. وان يتبادع الفرد معناها ان يبدع نفسه والعملَ الذي يبدعه والاشخاص الذين هم سواه وأحلامهم وأدواتِهم، وهؤلاء جميعاً يعودون بدورهم يزيدونه قُدرةً على التبادع. وهكذا صار ينبغي ان نصبح تبادعيين.

الانسان وهو بدائي يتطلع الى أن « يَقتني ». بعدها يعلو على نفسه فيتطلع الى ان « يكون ». بعدها يعلو اكثر فيتطلع الى ان « يبدع ». اليوم اصبح ينبغي له أن يعلوَ على نفسه اكثر واكثر ويتطلع الى ان « يتبادع »، اعجوبة لا

يقدر على اجتراحها إلا اذا عمل هو والناس وأحلامهم البِدَع وأدواتهم البِدَع معاً.

٣

التبادعية، في الاجتماع والاقتصاد، نظامٌ يفرض سيادة اثنتين : الحرّية والجُودة، ولا بحال يُحَدّ من الحرية، ولا بحال تُفَضّل الكَثرة على الجُودة.

الحرّية التي بلا حد تفرض على نفسها ان تكون مسؤولةً تجاه نفسها. بعد هذا الفَرْض الذي تقوم به اختياراً، (اعني في نطاق الحرّية ايضاً)، تعود لا تقبل بأن يُشرط عليها شرط. هذا معنى أنها بلا حدّ. ان الوجود العظيم، الذي منه يَنبعُ كل شيء، هو حريّة. بنتيجة وعي هذه الحقيقة، التي كانت مبدئية ثم برهن عليها التاريخ، نُدرك ان افضل تفتّح للانسان يَتمّ في الحرية. لكي تتبادع يَستحيل ان يلزمك شيء فوق الحرية. وهكذا يَستحيل ان يوجد نظام اجتماعي واقتصادي افضلُ وادرّ على اصحابه وألَذّ تطبيقاً من نظام حر الى ما لا حد. من هنا ان الوسائل التي ابتكرها الانسان، في مستهل التاريخ، وخدمته لكي يمارس حريته بسهولة لا يجوز له أن يَرفضَها بشيء من

التهوّر او من الخفّة. مَثّلْ على هذه الوسائل : المال. إن تَصنيمَ بعضنا للمال، ذاك الذي جعل المال احياناً يثمّر نفسه لصالح نفسه، يجعَل الانسان زلْمةً له، هذا لا يجوز ان يجعلنا نستهين بالمال وبأنه أمرن وسيلة لتسجيل حصول الجهد الخيّر أو لنقل الجهد الخيّر من مكان الى مكان. استبدالُ المال بأيّما شيء سواه ردة الى البدائية. المال كالابجدية : الشَّعب الذي عملهما كليهما عَملهما لا يزاد عليهما شيء. تَقدر ان تخربط في أصول استعمالهما، لا تقدر ان تستغني عنهما. ليس من مال أو ابجدية عند الجماد أو النبات أو الحيوان. والانسان عَمِل المال والابجدية ؟ المالُ والابجدية يبقيان للانسان. واضحٌ مَن المالك ومَن المملوك. تَتغيّر الادوار، يتخربط كل شيء. والحكاية التي يعرفها الصغار لكم يروح غالباً يتناساها الكبار : بدويّ من الصحراء عثر على قطعة من معدن، قال : « ويش ريدها » ورماها. وجدها ابنُ مدينة، عمل منها مفتاحاً ثمنُه ليرة. وجدها سويسراني، عمل منها ساعة ثمنها ۲۰۰ ليرة. وجدها عالِم، استخرج منها طاقةً ثمنها ملايين. قطعة المعدن الصغيرة تلك لا قيمة لها بذاتها، تصبح لها قيمة وتأخذ تكبر هذه القيمة بنسبة ما يُضافُ اليها انسان. ونستخلص : المال، المال الذي يَبقى عارفاً

حَدّه، يُعطي التعاملَ حُرّية هائلة. لهذه، المال خالد. ومِثلُهُ الرأسمال وحَقُّ التملّك. ألا فليجتهد الانسان، فرداً أو جماعة، ليجعل دخله بقدر ما يريد، التبادعية، التي لا تقدر ان تكون له إلّا اذا كانت لغيره، تُدفِّعُه من هذا المال، لصالح الجماعة، بقدر ما تتطلب اللعبة التبادعية. وهذه اللعبة، بقدْر ما تؤمن خير الجماعة، تكون مؤمِّنة خير الفرد. حرية في التعامل لا حدّ لها، ما مثلها سنَد لتفجير الخير. ومن الخير تتغذّى الموازنة لتكون قوية، أعني لتقدر على تنفيذ المُخطَّط الطموح. والموازنة اثنان : أخذٌ من المكان الواجب أن يؤخذ منه، وعطاءٌ للمكان الواجب أن يعطى. والتبادعية، التي هي حرية مسؤولة، تجعل المنتج تَلَذّه زيادةُ مساهمته سنة بعد سنة في تنمية الموازنة، اعني في تنمية تبادع أُمّته الذي ينبغي ان يوصل الى تبادع أُمم العالَم، أعني البشرية التي هي عائلته الكبيرة.

والجُودة هي التي ينبغي أن تشمل كل شيء : الشخص ـــ انتَ والغير ـــ العملَ، التعاملَ، الأهدافَ وحتى الاحلام. من هنا ان التبادعية جُودةٌ عمومية، للانسان وللشيء معاً. هي اذن رَفْضٌ مجتمعِ الانتاج للاستهلاك، رفضُ السُّرعة التي تَلْهَث ولا تُوصل إلّا الى المكان الذي

يان في النهاية أنّه متأخر عن المُنطلَق، رَفْضُ العمل الكَثْرويّ الذي لا يَنْفَعُ غلّة. على النقيض من كل هذه يكون الانتاج الجودوي، ذاك الذي يجودن نفسه ويجودِنك أنت صاحبه. يحوّلك من مُنتج للاستهلاك الى فنّانِ حياتك. فرْق، فرق كبير، بين أن تضيف الى نفسك وان تتجودن. التبادعية ليست حركةَ ازدياد، انها بالاحرى، حركةُ كَسْر طَوق، نَفاذٌ الى درجة في الوجود أعلى. حتى المعرفة، المعرفة العظمى، تصبح، على ضوء التبادعية، جَوادات قلب ايضاً : نخوةٌ، وعطاء، ومحبة للكلّ، وصِدْقاً، وقدرة على تذَوق الجمال، وشجاعةَ كلمة خلّاقة، ولفتةً تلف الكون وما بعد الكون، ومضاربةً على لُعَبٍ شَبيهةٍ شيئاً بِلُعَبِ الله.

فهرست المجلد

